

ديزيره سقال

# الأعمال الجديدة الكاملة



الجزء الرابع

٢٠٢٠

# مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي



رابطہ بدیل  
lisanerab.com

www.lisanarb.com



ديزيره سقال

# كتاب الأشياء الميتة والضحّد





الأشياء الميتة \_\_\_\_\_



## الأحجار

Elle ne font ni utiles ni renommées

(Roger Callois)

ذاكرةُ الشمس التي تحجّرت في الصمت الدافئ،  
ربوعُ الفَيء والسديمُ المخض،  
شفاهُ لا تعرف النطقَ ، لكنّها تملك كلّ اللغات،  
رحيلُ موغلٍ في الثبات -

وجهكِ الفاقدُ الملامحِ شاهدٌ على العصر...

رحيلٌ إلى آخر الشيءِ يستقبل الأغنيات اليتامى،  
أراكِ تغطّين في زمن الأرض،  
تنكسرين مع العصر،  
تستقبلين الأماكن -  
هذا الصدى وجهكِ المتحطّم،  
هذا المدى رُبْعكِ المستميت...



بقاءً الحجم حاضر أبدًا في الغياب،

يدخل فمك الساكن عند بؤابة العصر -

بقاءً الثابت في الغيبوبة المحض.

أترك إلا طبعًا لم يعرف الأطباع؟ أترك إلا برد هذا

الوطن الأجرد حيث تنطمس الأشكال في غياب الهَيُولَى،

ويصلدُ الهباء في شمس الهراء الداكنة؟ وبعذك المدى

الهاوي بطيئًا بطيئًا في انحدار العبقريّة - ألا يتحوّل

السراب إلى فعل بحجم السراب؟

أيتها الأحجارُ النائمة، يا سديم الغياب والضياع،

بقاءً الحجم في ليل ضيّع الأحجام،

برُدُّ الصدى في شتاء الحلم المصدَّع -  
كنتِ المصير الذي ليس بعده من مصير.  
كنتِ الوجوه الذي ليس بعده من ملامح.  
كنتِ العصر،  
وكنتِ خواءَ الزمن...

هكذا ظننا أننا نجسّد فيكِ تحولاتنا  
حيث ينبجس مسرح الغياب،  
حيث الجسمُ يفقد حجمه،

ويفقد صوتَه -

هي المحنة،

بل عطش الأرض إلى وهج، إلى برق يتلوى في

ربيع المطر،

هي المحنة، حيث يمتدّ وجهك وراء الضوء.

تنطوين.

تتكسرين.

تشهدين -

هي المحنة:

يتراءى العصر من حدودك الخرساء:

ما أصلبَ هذا الموتَ الملوّن!

تافهٌ حضورُكِ بلا شكلٍ ولا مكان.

عظيمٌ حضورُكِ في إشراقةٍ لم تعرفِ الحضور -

ذراعٌ تفتضُ رحمَ اليقظة - النوم. إنّه المطر/ كيف

يُمطر الغيمُ ولا يُمطر؟/ هو الموج يهدر في غياب البحر/

كيف أستيقظ على صوت الأمواج ولا أمواج؟/ ذراعٌ

تفتضُ صدائِكِ، تتكسّر عليكِ، وتبدأ لحظة الموت.

هي الهوّة

أو ما يشبه المهوى الأعمى.

هي الهوّة -

ضِياعٌ من الفجاءة تزنر الأعمارَ الهباء. ذراعٌ  
تفتضّ اليقظة - النوم. ضِياعٌ من الفجاءة. سيوفٌ من  
البرد والمساومات. ضِياعٌ من الفجاءة. ضِياعٌ...

هي الهوّة

أو الانحدارُ المتأرق.

وجهكِ الصدى، ونومكِ الملامح.

## - الدخول إلى العصر -

الأحجار مدارٌ بين الشمس والليل.

الأحجار عصر بين العصر والزمن.

الأحجار... الأحجار...

"لم يبقَ إلاّ ومضة من ملكوت الموت".

هكذا قيل،

أو هكذا ندخل العصر.

## - فصل الشحوب -

حفنة من النقص، أو من غياب القيم.  
بطء الظلّ في غاباتك الساكنة.

شجر من الموت بين الخطوة والخطوة.  
هو الماء الذي لا يخرج ماءً/ ما هذا الشحوب  
المداهم؟ هو الماء ولا ماء/ ما هذا الشحوب المداهم؟  
صمتٌ أو عويل/ نزاعٌ يفتضُّ بكارة الأرض. كنتِ  
شحوب الفعل الباقي، شحوب الكائن الفرد الذي يُهيل  
على الفعل أشلاء الفعل - شحوبٌ... شحوب...  
شحوب... شحوب.

بعض فراغ بين القدم والعتبة -  
يكفي ملامحك التي لم تولد أن تكون خاتمة.  
بعض فراغ... بعض فراغ...

وَلَأَنْسَ

جسدك الصارخ للأرض، الهاتف للخواء؛

وَلَأَنْسَ رواسب الهوة؛

وَلَأَنْسَ الصدى السعيد الذي يُبيح المجزرة،

يختم العصر بالدم والدموع.



على تلك العتبة المهجورة  
أشربُ بقعًا من الأوار،  
أطلي ذاكرتي بالغيوبة،  
وأنام... أنام في ظلِّك الباغي...

- إشكاليّة -

أكنتِ حقًا ميتة أم أنّك بداية للموت؟  
حسُّ بعيدٌ يخرج من الأفول والرماد -

بقية من الصدى،

بقية من الشحوب،

ووجهك عقيم يبحث عن عينين في إثم المجزرة.

أَكُنْتِ حَقًّا مَيِّتَةً أَمْ أَنْتِ تَتَلَاعَبِينَ بِالْمَوْتِ،

تَحْجِرِينَ الْفَعْلَ فِي الدَّمِ وَالشَّحُوبِ؟

أَكَانَ مَا يُسَمَّى وَجْهَكَ قِمَّةً لِلْبَرْدِ

حَيْثُ لَا نَعْرِفُ إِلَّا أَنْ نَمُوتَ؟

## - فصل ثان للدخول في العصر -

على حاقّة شتاء كنتُ أستقبل ثيابك،  
ووجهكِ مضيءٌ، تُجعدُّه المهاوي،  
يرتسمُ في العصر بقيّة ابتعادٍ، صدى شحوب...

سأسمّي هذا المدى صحراء... صحراء...  
وأتركُ لوجهكِ أن يكونَ وجههم.  
سأسمّي هذه السماء الغائمة ثوب حداد  
وصدى صمتكِ المشربّ ثكلى تنوح.

سَأَسْمِي اللَّهَ فِيكَ صَحْرَاءَ مَقْفَرَةٍ،  
 أَيَّتْهَا الْأَحْجَارُ، يَا مَلَامِحَ رَقِيقِ أَسْوَدٍ،  
 أَكْثَرَ اسْوَدَادًا وَإِيغَالًا فِي الصَّحْرَاءِ مِنْهُ،  
 حَيْثُ لَا تَسْكُنُ الزَّوَابِعُ إِلَّا فِي خَوَاءِ الزَّوَابِعِ،  
 حَيْثُ لَا يَكُونُ الْأَفْقُ إِلَّا عَيْنًا مِنْ عَيْونِكَ الْمَغْلَقَةِ.

أَنْحَجِرُ فِيكَ / نَنْحَجِرُ.  
 نَسْتَقْبِلُ "الْغَامِضَ".  
 نَرَقِصُ فِي غَيُومٍ لَا تَمْطُرُ.

نفتزع العدمَ لكي نصير في العدم!  
أيتُّها الغاباتُ السوداءً من الظلِّ والعار والغيبوبة!

على حافة شتاء كنتُ أستقبل ثباتك  
مُنْعَرِزًا في المدى الموات.  
أُعلن أنني أفتح بابَ هذا العصر.  
أُعلن أنني أدخل هوةَ هذا العصر...



## الرماد

يتبدّد الصدى فوق نبع من الذرات الصلصاليّة.  
يلتحم الأفق. ينحدر وجه الرماد شيئًا فشيئًا.

هي البقيّة

أو

دخول في رهبة المدينة،

في أول النهاية...

هي البقية  
عندما يستفيق الأرق  
منعجناً بالأرض،  
عندما يشير الحجرُ إلى الحجر...

الدالية تهجس به؛ يتناقل الهواء أخباره على مرمر  
أيامها. الدالية تعصف، تنتظر البقية -  
لكنه الرماد،  
أو



ما يشبه البقية  
وأول الدخول في نهاية المدينة...

لكنه الرماد:  
حفنة من الصلصال تُطلى بالمعدن،  
بالذهب عندما يهمدُ الذهب -  
والرمادُ أول الأشياء،  
والرمادُ عينُ العناصر،  
عينُ البطل عندما تتحد بالعناصر.

والرمادُ حَشَفٌ تحت الصلصال  
عندما يشير الحجرُ إلى الحجر،  
عندما يختلط الذهبُ بالماء الهامد...

النسغُ يحتفظ بالكيان إذ يفتح البطل ذراعيه لنور  
الشمس، إذ ينهض من الأطمار متابعًا نهاية المدينة...  
والبطل شكل الرماد في الزمن الصوّانيّ،  
والبطل  
أوّل الرماد

حين تهتف المدينة للحجر،  
حين يدخل السيفُ بقيّة الجسد - الحجر.

## - فصل الرقص والدخول في الرماد -

الدالية

تنحني

نحو

ذرة

الرماد،

تقرأ البداية. لكنّما الشمسُ تشبه قرصَ الذهب  
عندما يفقد الذهب ندرته،  
أو  
عندما يمتزج الذهب بماء الرماد.

الدالية  
تتحرك في الرماد،  
تهدأ شيئاً فشيئاً  
عند رتاج المدينة.

هكذا يفقد البطلُ أعضاءه، ويخرج في الوطن.  
هكذا ينزف المعدن على سُطوعِ قاسٍ.

ويرقص البطل،  
يتصدّع في جفونه تَحْمُرُ الحجر.

يرقص البطل  
حينما يهْلُ الرمادُ

وحوله تنحني الداليةُ  
وأيدياً وأيدياً  
إذ يُشير الحجرُ إلى الحجر...

### - فصل آخر -

يقولون إنه حتمية الخلق عندما ينغلقُ النور في  
حجرة الليل. يقولون إنه مركزُ العناصر، عندما يتحد  
الأصلُ - تتحد البدايةُ والنهاية... يقولون: هكذا يبدأ  
الشيء من حكمِ النهاية؛ بيدَ أنّ انفصالاً واقعاً يحتّم  
البداية... .

هكذا يبدأ الرمادُ...!

- الأصل -

هاتوا النارَ نبدأً.

هاتوا الترابَ والماءَ نمزجهما

وَلتَهَبَّ الرِّيحُ...

حين تستغرق الأشكال في الأشكال، وتنفرج  
المسافة شيئًا فشيئًا، يُطلِّها جسُّ الحجر. وإذ ترتعشُ تحته  
المسافة، يهبُّ الرمادُ! -

هاتوا النارَ نبدأ.

هاتوا الترابَ والريحَ نمزجهما

وَلْتَهْبِ الرِّيحُ...



## - البطل والرماد -

ينزلُ سيفُهُ في شمس من الجليد. ها هوذا يبكي،  
يُريقُ الأشكالَ حولَ هيولى منطفئة، يستغرقُ في المدينة.  
ها هوذا يبسطُ عينيه أمامَ مسافةِ الصلصال، يولدُ من  
مواعيدِ الجراح التي تندلعُ في نيسان. هكذا سيفُهُ وليدٌ في  
بحر التراب -

هاتوا الأشياءَ يبدأ،

هاتوا الرماد -

يغيبُ فيه مطعوناً بمديّةِ الثُّلم. يتحدُّ به. يكونُ  
إيَّاه. سيَّانِ بدايةً ونهاية. سيَّانِ شرقٌ وغرب،

هو الجهاتُ  
آنَ يكونُ المكانُ مقفلاً كدائرة.  
ينكسرُ الشكلُ في الأتحاد -  
لا شكلَ لهما،  
وهما في كلِّ شيءٍ...

نسيَ البطلُ سيفَهُ  
فَلَنَنْسَ.

نسي البطلُ همَّهُ  
فَلنُنْسَ.

صارَ البطلُ والرمادِ سِيَّيْنِ  
فَلنُنْسَ، فلنُنْسَ...

- ملحق -

ثمّة ما يلي الرماد، لكنّه غامض. لعلّه يشبه الغيبوبة  
عندما تكون صِنوًّا للبطل. لعلّه الفراغ... ثمّة ما يلي الرماد  
عندما تقفد العناصرُ التّامّها. -  
لعلّه الرماد...!



## الصحراء

- كومونة الصحراء -

- ١ -

على مَرمر الأشعة الترابية  
يتحاصر وجهك بالحدود:  
صوّان  
أو  
بقية من صلد الرعشات.

على هذا المرمر المائع

تبدئين:

كأنتِ في الجرح لعنة الفلاة،

كأنتِ

هذا البحرُ الأسديُّ ترجمان السديم.

- ٢ -

كان امرؤ القيس يكتب بلورك

على حنين كأنه الغياب.

لماذا

لا يطرح الهواءُ ممحاته

على الرحم الذي

يثقب العالم؟

لكنّك

بين الفجر الصارم والليل الكسول

تنظُرُين المدى

كأنّك الضياع الذي

لا يعرف إلا أن يضع...

- ٣ -

ذراعك التي تدور في غياب المسافة  
ترصد الملكوت الذي لا يقوم.  
وهذا الشحوب الضارب طياتك  
بين الساعة الرمادية وقِيظ الليل  
لا يملك إلا أن يتساءل،  
حيث مرمرُ الوجدان



يلبس الوجد

أو

يصدع الزمن المقيم.

وأنتِ،

آه، أنتِ والكون!

أنتِ،

آه، انتِ والجليد!

بقايا من الحطام اللازوردِيّ،

حيث صقيعُ العالم الأخير،  
حيث...  
ليس إلا الوجودُ ترجماناً للوجد.

- ٤ -

الرعد يقصف. وجهك في الرعد يرتجف، والمدى  
يسأل عن قرارك الهاجع. وعندما يهجس الليل في  
الغممة الأخيرة يعرف أن ليس إلاك من سديم.  
أيتها العارية،

لماذا لا تتساءلين؟

- ٥ -

الموت أوطانٌ كنتِ تعشقينها،  
ترحلين إليها في الهواء والرمال...  
سَمِينا، آه، الرمال،  
سَمِينا، آه، الجراح.  
وَلِيَفْتَحِ العَصْرُ شحوبَكَ المديد.  
لكن،

بين الحبة والحبة،  
شفير طويل من الدمع والدماء،  
بقية من الصدى  
بقية من الدوار.  
ووجهك ضائع  
يبحث في الملامح عن اسم جديد.

لكن  
اسألي ما يكون سيّد الانفصام هذا،

اسألني عن حدودك الخرساء في مَهَبِّ التَّيِّه.

أَيَّتْهَا الْحُورِيُّهُ الْبُنْيَّةُ

لماذا

لماذا

لا تفتحين؟

- ٦ -

حين كنتِ تذرّينَ على بعدكِ الغائب

دموعًا من الرمل اللازورديّ

لم نعرف أنّ القبيلة طعنة في مديك.

طوبى لك

تُنحَرِينَنَا فِينَا

وَدِيْعَةُ كَالْوَعْلِ الْمَسْعُورِ.

وَعِنْدَمَا تَسْأَلُ الْأَرْضُ عِنْدَكَ

أَعْرَفَ أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ بَدَأَ

وَأَنِّي فَشَلْتُ.

## - وجوه الصحراء -

## - ١ - وجه

في مراتع القَطَا ينهمر، يُسَوِّرُهُ الْوَجْدُ، وَتَمَكَّرُ بِهِ  
الْأَطْيَافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

وعندما يسأل عن حدوده في صَدَعِ النَّهَارِ، لَا  
يَتْرُكُ حَوْلَهُ إِلَّا رَبَّنًا يَابِسًا وَبَعْضَ كَلَامِ مَيِّتٍ...

## - ٢ - وجه

ثُمَّة

في أجنحة العنقاء  
رماد ذو طعم كالوَجْد -  
لعله الوَجْد!

- ٣ - وجه

في حدود جسدك يبتسم النحاس.  
والأرضُ البعيدة  
تحاصره كالجليد.  
علام، إذًا، هجوعُهُ الطويل؟



علام،

هذا

الصمتُ

الأخرس؟

- ٤ - وجه

في ثيابكِ الظمأى

كنائسُ مُعْنَمَة،

وجرحٌ لا يعرف الإقامة.

في ثيابكِ الظمأى

مَلَكوتٌ هَامِدٌ،

ورِتاخٌ مَعْلَقٌ

...حَتَّى الغِيَابِ.

الضدّ \_\_\_\_\_



## السديم

هكذا، لا لونَ له، تُوزَّقه النجومُ، ويضربُ عليه  
زمانان: واحدٌ مثله، واحدٌ مناقِضٌ له. هكذا، نراه عبر  
اللون، ويكتظُّ حوله هواءٌ صلد، وبعضُ سواقٍ من الحبرِ  
يتكلَّسُ في فمه. بيْدَ أنه يبقى واحدًا، يبقى ثابتًا ومتحرِّكًا،  
أحاديِّ الملامح مُتَعَدِّدُها.

هكذا،

أصلُ كلِّ شيءٍ...  
بعيدٌ كالأبد،  
قريبٌ كالآن،  
مطلقٌ،  
وتراه حتى  
في الحصاة!

هكذا

يستقيمُ في سبعةِ أبوابٍ لا ثامنَ لها. سَمِّهِ التَّوَابُ،  
 سَمِّهِ ما شئتَ، لكنّه يبقى فيكَ إِيَّاكَ، يستغرُقُكَ ويوحِّدُكَ،  
 يُعيدُ إِلَيْكَ ذاتَكَ ويُنسيكها. سَمِّهِ ما شئتَ، سَمِّهِ الغيبوبةَ  
 أو سَمِّهِ الوعيَ - لكنّه أصلُ الحضور، فيه يتمدّد كلُّ  
 شيءٍ.

(أَيُّهَا الغارقُ في البعدِ، الممَّعِنَ في القُربِ، أَيُّهَا  
 العاشقُ المعشوقُ، أَلَا فَازِنَ في هذا الأبدِ المريضِ، وَلَيْرَتَعِشُ  
 حولَكَ كلُّ شيءٍ...)

هَلُّوِيَا.)

هكذا

يُورِّخُ الهاجسُ بدءًا منه،

يُورِقُ في الهاجسِ. لكنَّ على وجهه قافلتين:

إحداهما تَبزَعُ شرقًا، والأخرى تَأْفُلُ في الغربِ. بَيِّدَ أَنَّ

الضراعةَ الخَوْوَنَ تَلَوِّحُ حَوْلَهُ، وجلجلةُ النحاسِ تَنبُتُ

بمداه. هكذا، يستيقظُ فينا، أَلُوفًا، وترشُّحُ عيناه بالمطرِ.

لكنَّه يبقى بعيدًا كالهاجسِ يبدأ منَّا أصلَ الشيءِ،

يستغرِقنا ويوحِّدُنا.



هكذا،

نبدأ في الأبواب السبعة،

مطلقاً،

ونسكن في الحصاة،

شيئاً منه، أو إياه.

وعندما نعصر العنب نستقطرُ خمراً. عندما نضربُ  
الحجرَ نفجرُ ينابيعَ زلاًلاً، نقرأ الفاتحة ونستهلّ، نسأل أو  
نتساءل. وعندما نلقى الظلّ، ندخله، فيستحمّ فينا. ويبرأ  
الحجرُ، تبرأ الغابات والأرضُ، نتابعك، حتى في نفّ  
الرداذ، حتى خلفَ خطواتِ القطا، نتابعك؛ نتبرأ منك،  
أنتَ الأصل، نستنشقُك، ونمشي عليك إليك.

هكذا، عندما ننظر في عينيك ننظر في عينينا.  
وحين يفيض الوجدُ نسجدُ لنا، نتبركُ بنا - سبحانَكَ  
أيُّها البعيدَ القريب، أيُّها الشرقُ والغربُ، والجهاتُ كُلُّها،  
سبحاننا!

وعندما نعصر العنبَ ننعصر؛ عندما نستقطرُ خمرًا  
نتخمَّرُ، عندما نضربُ الحجرَ نفجرُه ينابيع زللاً، نفتتحُ  
ونعلو، يستحمُّ فينا كلُّ شيءٍ ويبرأ.

(أَيُّهَا الْغَارِقَ فِي الْبُعْدِ، الْمَمْعِنَ فِي الْقُرْبِ، أَيُّهَا  
الْعَاشِقَ الْمَعشُوقَ، يَا نَحْنُ، أَلَا فَانْتَفِضْ فِي هَذَا الْأَبَدِ  
الْمَرِيضِ، وَلَيْرَتَّعِشْ حَوْلَكَ كُلُّ شَيْءٍ...)

هللوياء...)

كتبت القصائد في العام ١٩٨١





ديزيره سقال

# أناشيد الأرض والدم



٢٠٢٠





أناشيد الأرض



تستنجد الأشياء بالليل في مدى مزروع بأعمدة  
 الهباء، وينقبض الصمت على رجفة من بريق الأسلحة.  
 يهب الفراغ، والمدى أقنعة ونيازك.

هي

"الحرب"

بطيئاً

بطيئاً

تحتل الكائن،

وفوران الطين يخرج من أحجام المأساة. ألا لا  
 تستنجدوا بالليل، فأنتم مسدلون على مداخل الفراغ

الميت، حولكم شمسٌ مُطفأة، حولكم رمادٌ... ولكن  
الكائنَ يعودُ إلى ذاته مضرِّحًا بالنحيب، يقطرُ الأشياءَ  
وينهبُ المسافاتِ بين الحدِّ والحدِّ. ألا لا يُغوِّمُ هبوبُ  
الحديد، فالفضاءُ يخلعُ السنونو عن جبينه، والصقورُ تخرجُ  
من عينيه مسجّاةً. ألا انفضِ الظلامَ حولك، أيها  
الشريكُ القليل، فالجسدُ يتركُ حدوده، والليلُ تدخى في  
الورع... ستباركُ عرباتِ الفطر عندما يرتطمُ الجواهر  
بالباطل؛ سينتهبكُ هذا الصدى بين حراشفِ المذبحة.  
وماذا يبقى من أسراب الرشا يوم ينسلخُ الكائنُ عن  
الكائن، ويرجلُ في مجونِ الأرض؟ -

هي الأرضُ  
تخرج من الخلايا

طَعِينَةٌ بالدهشة القاسية.

هي الأرضُ تواكب هَرْجَ البَوارِ، والطيرُ تخفق في  
مَسِيلِ دَمٍ يابس. هوذا الرمادُ يخرجُ من غاباتِ القصبِ،  
يصيح: "أيُّها الليل، لعلَّكَ لم تُخفِ النارَ في في أدغالِ  
الأقنعة، لعلَّكَ لم تُسدلِ على العينِ ستارةَ المجاعةِ  
والخوفِ. أيُّها الليل، كنْ واقفًا بيني وبين الكائنِ، وانثر  
الطيرَ أو بقاياها، واكسُ العراءَ بقميصٍ من اليقظةِ  
العمياء." هوذا الرمادُ يقارعُ الأرضَ بالكائنِ، وينثرُ الجسدَ  
على الترابِ. وكم تركنا معًا أرصفةً من مواكبِ الزهرِ قبل  
أن تأسنَ الزوايا، وينحجرَ الزمنُ في الفضاءِ المخترِّ. كم  
ركضنا معًا على شفيرِ الصدى، نقبضُ على الهواءِ، ونفتح  
الأبوابَ لأشياءِ الذهولِ. ألا لا يخرجُ الرمادُ بعدَ هذا إلا  
حاملاً بقيّةً من خشبِ السيفِ المكسورِ، ماسحًا  
بأصباغهِ تاجَ المساءِ. ألا لا يخرجُ المهرجُ، فليس سوانا مَنْ

يفتح الهبوبَ للهبوب، ليس سوانا من يُبيح المراثي  
لأسراب الطيور، آنَ تندرُج المهزلةُ البشرية في الهبوب.

ولكنَّ الأرض

تستيقظ

في

لغَطِ

المذبحة،

والجذورَ تحتضن بردَ التراب، ترحل في هبوب  
الخواء، والجسدَ يبكي ويبقى خلفَ التيه، خلفَ الجهاتِ  
يراقب السُدى. كانت الجذور هجرةً إلى جهة الدم في  
حصار اليباس، تتراجع خطوةً خطوةً إلى الفضاء  
الأرجواني. لن تبقى بوصلةً إلا لتشير إلى الكائن  
المكسور، لن تبقى جهةً إلا لتقودَ إليه، لن تبقى درب...

هو الكائنُ يشير إلى الكائن، حيث تمسحُ الأجراسُ  
غاباتِ الحور، وتَهَيِّجُ مفاصلَ الزوبعة، وتكسر العظامَ.

(كنتُ أخرجُ من نعاسي إلى مدى يحتلُّ مدارَ  
النسيج، والأشكال تتجه نَجْوِي، تتلاشى وهي تتجه.  
كنتُ أستحِمُّ في التهليل، مطارِدًا المسافاتِ، مطرِّزًا  
نجومها بالألق، حيثُ لا حصارَ حول مدينة الكائن.

وأذكرُ

أذكرُ بهاءَ الوطن الذي سرقه الأنبياء، أذكر عريَ  
النساء وهنَّ يستحِمْنَ في كوثر الشمس، يرضعنَ من  
نشوة النجوم وأحلامِ الأجراس. أذكر المدى الضيقَ الذي

فتحناه وزرعنا فيه الزوابع. أذكرُ بيروتَ يومَ التَّمَّتْ في  
سريرِ المدى عروسًا كالحوريّة.

وأذكرُ

أذكرُ كلَّ هذا الألق... أذكرُ الفضاءَ يفتح جانبيه  
ليحتضنَ الصقورَ، والشمسَ تعانقُ البعدَ المذهَّب. كلُّهم  
كانوا ينسجون فضاء المسافات؛ كلُّهم كانوا يلمون  
بالصباح...)

لكني

أستيقظ في سريرِ الدم حاملاً هبوبَ الأسلحة،  
أهشم الأشكالَ في هجرةٍ تبكي، مطرّزا الدموعَ وهي في



أطوار الهبوب، ويخطو الحَجَل الزاهي كالأقحوان في  
الظن... لكنّه يستيقظ، مثلي، على اليقظة الحيّة وهي  
تخطّ في جهات الرماد،

تخطّ

في دوّامة الكابوس الرصاصيّ.

هكذا تُعقّد الهدنةُ بين المهرّج والموت، ويدخل  
الليل العشب، وتلتمس الجهاتُ مدارَ الصواعق، وتلتقي  
بذورًا مَيْتَةً في زوايا المدى. وكنتُ القابضَ على انخطافة  
الكائن وهو يحلم بالصنوبر والبراري؛ كنتُ الرائيَ عندما  
راح الوروارُ يلوّن جرحَ الفضاء الأعمى. ها أدخلُ بؤابةَ  
الحشرة، معانقًا ضيقَ الأفق. ها أستيقظ، ولكنّ هبوب

الأسلحة يحتفظ بي في هجوع طويل... طويل... طويل...  
ل...ل

وأنتِ، أَيُّهَا السَّمَاءُ التي هاجرت نحوَ أشلاء  
حلم قتيل،  
هَلُمِّي...  
ساعةٌ يكتنز الصمتُ تاجَ الهروب،  
هَلُمِّي...

سَنَمَسْحُكِ بالصيد، سَنُهْرُقُ حولكِ الرعبَ  
والضجيجَ فتخرجينَ من ريشِ الطيرِ مولولةً معَ أسرابه  
المشدوّهة. أَيُّهَا المرميةُ على حافةِ الزمن، لِيَضْرِبَنَّ الحصارُ  
جذوره في عينيكِ، لَتَهْمُدَنَّ فيكِ أشياءُ المدى حتى ساعةِ  
البكاءِ الأخير...ل

(كان الهواءُ يستحيلُ عَفْنًا، والدمُّ يتراجعُ بريئُهُ  
خطوةً خطوةً،

لهأثُّ، لهأثُّ،

لهأثُّ هذا المدى والأرضُ

لهأثُّ، والصدى بابُ الآتي،

لهأثُّ، لهأثُّ،

يختصرُ الأشكالَ، ينتزعُ الجذورَ، لهأثُّ،

يتبركُ بالدم المحرورَ، يهذي في

خطواتِ الزنابقِ، لهأثُّ، لهأثُّ

يفتحُ السديمَ على ليلٍ موعلاً في السديمِ،

وعربةُ التعبِ تنتظرُ خروجَ ألوانِ الوراورِ من جدارِ

الدجى، حين يستيقظُ العرقُ في جسد الكائنِ، ويعمى

الضوء على انحدار الأرض. كان الهواء في هذا التاريخ  
تمائيلَ تصطنعُ النبضَ...)

الأرض تخرج من مدار النحاس، والفضاء يعبر

الحلم

هاويًا

هاويًا

هاويًا في خندق اليقظة الثقيلة. كانت بيروت امرأة  
تخترق نسج الضياع، تجمع الخرابَ حول عينيها. وداعًا،  
وداعًا أيها الطفل، سنجلدُك بالهدير، نتركك للمسافات  
والزمن. سوف نسلبك سطوعك كله، وديبك كله على  
أرض بَرّاقة. وداعًا، أيتها الينابيع، آه، اختصري  
المسافات، اختصريها في زعيق الأسلحة.

هاويًا

هاويًا،

أُطعمَ الغربةَ ببرِدِ المدينة، وموجُ الصواعق ينكسرُ  
على الفراغ والحصار، والخلايا تسكن الدهول، والمدينة  
تدخل حصارَ الكائن...

هاويًا

هاويًا

أنفجرُ في اللهات، أقدس الحشرة. ويطوي  
الدجى زناقي، يحني أعناقها تحت المذبح. أتقدم نحو  
الكائن، في انخفاضة المدار، ووحيدًا أمسك بالليل، أشبكه

بأنفاسِ التّرجسِ. وحيداً أنزلق على الطحلب، أرحل في  
غيبوبة البرد. وحيداً أرى ولا أرى

حيثُ

الأرضُ

تبسطُ رحيلها كثوبِ العذارى،

تتدلّى

في

سرير

التواصل... .

والتواصلُ شبحٌ! والتواصلُ ألفٌ من مذبحه الصدى،

ياء في طعنة البداية... . التواصلُ حجرٌ، وجهُ لأقداسِ

الموت... . وكان أن حلمنا بالعنف يقرع المدى. كان أن

دخلنا في العنف، واقفين على باب الصلح الأبله... .

ونكسو الرمالَ بالرمال،

## نكسو القناع بالنبوة الدامية.

وعندما ندخل بهو الصباح نصيح: "أيها  
 الطيشُ، أيها الخرابُ  
 ألمكسُو بزبد الصهيل، تهدل حولَ  
 هذا اليأس، ولتُكسُ الهبوبُ  
 العاشقَ بسيف المذمجة."

(كانت الأرض شكلاً مستديرًا، حاملاً ترف  
 الملامح إلى نواحي الخراب. وحدها كانت تتفسخ حول  
 الكائن، ترحل في المهبط. وحدها كانت الأرض في  
 البطش المسجى تصدع الهبوب، وتحمل رائحة العطش

وغيوبةً الحضور. وحدها وحدها كانت ترتشف أحماضَ  
الأسلحة، والترابَ الذي هندسه الضياع. ثمّ جاءت  
السحاباتُ تكحلُّ أسي الجنوب.

رويدًا

رويدًا

أيّها

الحاضرُ

المملوء،

سيدخلُ التوأم في حطام التوأم. فلتكن هذه  
الخطى بين أشجار السرو الجريح أشدَّ إيغالا في الرمل من  
قرع الحديد. لتكن، لتكن الإباحة في دُنُو الخصومة،  
وليُنهض "الغامض" من بهو المساء.



هكذا يكتمل الحضور في انحدارٍ عارمٍ عارم،  
وتتكشط عن الأرض جلدتها. هكذا تتحوّل الشمس عن  
ترهل الهندسة، ويسقط الكائن...)

أعيدوا معي، أيها الحاملون لهاتِ المعادن، أعيدوا  
معي بقيّة القصف العادل، وليهدأ المساءُ في حفنة من  
طلّ الفجر. لكن، عندما انطفأ الأفل، خرجت  
الكائنات السريّة، وفاجأت الغابات حضوراً ثقيلاً  
واشتعالاً. هكذا انعقدت المذبحة بين الكائن والكائن.  
هكذا انصبّت أحابيلُ الجهاتِ في ترهاتِ الصخب  
الدامس.

هكذا

عارماً

عارمًا

أفصل

الأرضَ

عن

الأرض،

وماذا يرومُ الحيّ إلا عودةً إلى طفولة تظلّ مشتعلة؟

ماذا سوى هبوبٍ، بعيدًا عن رتاج المساء؟ لكنك

هتفت: "لبيك! لبيك أيها النزف الأرجواني في تعاقب

"الغابة" وانحسار "المقبرة". لبيك يا ماشيةً من الغضب

الغامض."

هاويًا

هاويًا

أستغرقُ في الأرض، رافعًا هبوبَ الصدى. وبين  
فسيفساء الجوع والرماد، أحصدُ عطشَ الينابيع وأناشيدَ  
الردى والتوأم. ألا قرأت، أيُّها المهرج، بقية المهزلة،  
وفضضتَ صخبَ التاريخِ عن بلاهةِ عينيك، ألا رفعتَ  
امتداحَ الباطل، وهببتَ خارجًا من حطامك إلى أرضٍ  
خلفَ مدار الحطام... لأنَّتَ بلاهةُ الرعد في صُور البوار.  
لأنَّتَ الفأسُ والجذعُ المبتورةُ والقَرعُ. لك الآنَ طوقُ  
المراثي. لك الآنَ هذا الجسدُ المفسخ. لك الآنَ أيقونَةُ  
الأباطيل. ألا مُدَّ إلينا عَبَقُ السديم، ألا مُدَّ المدى النابضَ  
في سطور النبوءة، ولتكنِ العرَّاف، لتكنِ الجهاتِ مرفوعةً  
على بؤابة الأعالى.

هناك في ليل المجاعة، تنجذر الأرض، تتساقط  
حول ريش السمندل، تُنتزع من صدر الفضاء. هناك،  
تخرج الأرض إلى نفسها، ويسطع الكائن في دُجنة الهوة.  
هناك ترقد الجهات عطشى، ويمتد الكائن إلى الطين  
المطاط حيث الهجرة يضبطها الهذيان، وترحل الهيولى  
مُشَلَّة إلى القمر المتداعي...

هناك

في أحلام المعدن القاسي،

في هبوب الحديد،

تسندل بيروت في زوايا القلب، تلبس فضاء الجرح  
على إجهاض الزمن. ألا يبقى من عينيها سوى هذا  
السطوع المخيف؟ وكيف كانت الدرب تنحني عليها،  
تغلّفها اليرقات، وتستدير حول قدميها الخلاخيل؟ كيف

كانت البراعمُ تندفعُ في جوعها...؟ لِيَكُنْ بعد نزيْفِكِ  
صَلَفُ الرعدِ وانتشارُ الحَتِّ. لِيَكُنْ بعدَكَ سُكْرُ الأَفْوَلِ،  
أَيُّهَا الجاريةُ الحوريَّةُ، فنهتفَ: "غَرِقَ الفضاءُ في حطامِ  
المسافاتِ، وفَرَّتِ الرايةُ، أَيُّهَا الخارجُ من أحشاءِ الكائنِ،  
أَيُّهَا الصاعدُ في دمهِ إلى هجرةِ المدى الأقصى، إلى  
غاباتِ كاذبةٍ من الحلمِ والموجِ والزبدِ. غرقَ الفضاءُ،  
والجرْحُ ما زالَ حيًّا يبكي في أعضاءِ الحنينِ." لكنَّ الأرضَ  
فُسُوخٌ وحديدٌ، والبحرُ يحملُ إلى وجومها من التضرُّجِ  
قرمزًا لاهبًا. آه، آنَ أصعدُ أشباحَ الغابرِ، آنَ أرتدُّ إلى  
انغلاقِ الدائرةِ، مُنسابًا من خللِ الأحجامِ، يهبُ النفيرُ  
من غيومِ النحاسِ، وينهلُ الصدى على مدينةِ الذعرِ.

هذا المساء القاسي يُحاطُ إلى  
 قميصِ الفضاء الأسود. ليكن، إذا، البرقُ شهقًا  
 وعكاكيزَ لزمانٍ أعمى، ليكنُ في وجوهنا أشهى إلينا من  
 الجوع، واخرج، اخرج، أيها الليل، هاتِ وليدك ملىئًا  
 بالقشِّ والصدى.

وماذا نخبرنا الكوكبُ الأبلهُ عن طفلٍ يركض وراءَ  
 عينيه، ويحلم بالبحيراتِ يغلفها زهرُ اللوتسِ والصمتُ  
 الطبيعيّ. يركض الطفلُ حولَ مدارجِ القصب؛ ينفلتُ من  
 شهيقِ الأسلحة. يركض الطفلُ، ولكنه يتوقّف عندَ نهاية  
 اللوحة، عند الحائطِ الأخرس، في آخر المدى القصير،  
 وهو ما زال يحلم بالبحيراتِ الخضراءِ واللوتس. ويحترقُ  
 الفراشُ في عينيه، يَيْبَسُ الجوّ وينكسر... أترأه، في أقصى

النبات، تُراهُ كان يركضُ في سواعدِ الفقراءِ باحثًا من  
 أجلهم عن رغيْفِ الجِياعِ؟ آآآه!  
 أيُّها الطفلُ الغارقُ في الوجوم!

كانت الأرضُ تنحسرُ عن صدرِ الفراغِ،  
 والكراسي تبتهج في ندىِ واهم. كانت الأرضُ هَجْعَةً  
 خلفَ بحرِ التثاؤبِ والملالة، وبيروت مرآة لاغتصابِ  
 الجسد. كانت الغصونُ خارطةً، وأرخبيلُ الأشياءِ يرحلُ  
 في انبلاجِ الفاجعة -

لهأُ، لهأُ،

لهأُ يوشحُ المهزلة، لهأُ

لهأثٌ يُلمَحُ بين الكائنِ والأرضِ،  
يحملُ الجسدَ المفكَّكَ، ويرواح. لهأثٌ  
يفتحُ المساءَ، لهأثٌ

لهأثٌ يفتسمُ المسافاتِ، يطعنُ الحجرَ  
بغيبوبةِ المؤلفِ، لهأثٌ، لهأثٌ...  
والتعبُ يتهدُّلُ من أجنحةِ الوروارِ،

يخرجُ من غبارِ الحطامِ،  
والتعبُ تأشيرةُ الكائنِ في سلّمِ  
الدخولِ المريرِ إلى الموتِ،

لهأثٌ،

لهأثٌ

يقرعُ جدارَ الزمنِ، يتحسّسُ القشعريرةَ،  
يغيبُ في الرياء...  
يغيبُ في الرياء...



والأرضُ هامشٌ بعيدٌ، يتدلَّى إلى أشجار الحديد.  
 كمَّ حَمَلْنَا مَعًا هَوَاءَ الفجرِ، وركضنا مَعًا في الشفق. كم  
 سقطنا مَعًا، بعدَ أن أسِنَ الكائنُ، وعانَيْنا أَمْوَجَ الحديدِ.  
 كم نمنا مَعًا على سريرِ المهزلةِ والجرحِ. ألا لن يستجيبَ  
 هَوَاءٌ لهذا الليلِ، ألا لن يستجيبَ غَيْمٌ...

(والكائنُ؟ كم حملنا مَعًا أزاهيرَ الجسدِ، حَمَلْنَا تَرْفَ  
 العيشِ إلى بَوَابِ الهَرَجِ. كمَّ صعدنا مَعًا سحَابَاتِ الألقِ،  
 واقتطفنا أُقْحَوَانَ النورِ، آه، نَشَقُّنا مَعًا هديرَ الأسلحةِ،  
 وارتمينا على الدِفْقِ المغوليِّ، وطفرنا من دِمِّ إلى دِمِّ. بكى  
 الكائنُ، تذكَّرَ فسوخَ الجسدِ. بكى واحتمى بالجذْرِ. بكى  
 واستحمَّ في هدوءٍ صاحبِ، يضرب في حدودِ التَّيِّهِ.)

هكذا خرجتِ الجموعُ إلى حطامِ الجسد، خرجَ  
 بردُ الترابِ وصقيعُ الجذور. هكذا ركبَتِ الجموعُ أخصنةَ  
 الخشبِ وحملتْ سيوفه، وراوحتْ في مدارِ رصاصيِّ  
 ضيق. طفرةٌ إثرَ طفرةٍ تَناءتْ عن الجسد. طفرةٌ إثرَ طفرةٍ  
 تقصّفَ الجسد. وها بيروتُ أُرْجُ منسدِلُ على جدارِ  
 العيونِ، ترصدُ الخرافةَ. ها بيروتُ أشرعةٌ من الزحفِ  
 والتفكُّك...

وأنتِ، أيُّها المهرجُ الهاربُ من بقيةِ الأقنعة، ألا  
 يبقى من وجهكِ سوى هذا السطوعِ الكاذبِ؟ ألا يبقى  
 سوى مطارقِ الحديدِ في طوفانِ الهباءِ؟ كانتِ النساءُ

يأتينَ إليكَ بأرحامهنَّ، ويزرعنَ في وجهكَ بقيَّةً من  
الأثر... لكنَّ الليلَ الآنَ يزرعُكَ في الصدى، فيتراقصُ  
على حَفافيكَ غبارًا وأقنعةً. ألا لن يبقىَ وجهٌ بعدُ، لن  
تبقى ملامحُ. ألا لن يصمتَ رجُعُ إلا حاملاً هَوَل  
الخرافة...!

(انفض، أيها الطفل، انفض. خلَّفكَ امتدادُ  
المسافاتِ في الفراغ، وحولكَ الجَمادُ يتهدُّلُ على الأقاليم،  
يكشف الليلَ لبقيةِ المأساة. انفض، ففي عينيكَ بريقٌ لا  
يفهم التعب، وصمتٌ يخترقُ العطش، ويثقبُ البحر. أما  
زلتَ قارعًا رتاجَ الصباح، ناهضًا في الخواءِ اللاهوتيِّ؟ أما  
زلتَ تفتحُ وجهكَ للطيرِ على حدودِ السماء؟)

كان الرشأ الأعمى يندفعُ إلى المدى الأعمى.  
وتخرج الجهاتُ يَنابيعَ بُعْدٍ، تنثرُ حَظْفَ البهائِ الكاذب.

(ألا لن يبقى لك، أيها الطفلُ، سوى انسلاخ  
الجدور. لن يبقى لك سوى تعبِ المسافاتِ وحنينِ  
الغاباتِ. لكم حلمتَ بغاباتِ السوسنِ، باقتطافِ  
الخضرةِ من بحيراتِ الأشجار. كم حلمتَ بضجيجِ  
الوعولِ، وارتطامِ الحوافرِ في أعماقِ الوادي. ألا أيها  
الطفلُ، نَمَّ، فقد أيقظتُنَا لنحصدَ الليلِ، ونرصدَ قناعَ  
الهباء...)

هكذا استَحَمَّتِ الجموعُ في بهائِها الكاذبِ،  
وارتطمَ الصدى بالحطامِ الجسديِّ. هكذا انحسرَ الترابُ  
الباردُ عن الترابِ الباردِ، ودخلتِ الشمسُ إلى جلدِ الليلِ.

هكذا

كانَ

انحدارُ

الأرض

إلى

رَفيْفٍ

الوهم،

ويقظةُ الجذورِ على غربةِ الماء. هكذا كان رحيل  
الطفل عن مدار الطفولة. تحوّلت الأرضُ إلى الشَّرْح؛  
تمطّت على المساء الطَّوْطَمِيّ. تقلّصت الخطى؛ اختنقت.  
كانت النجوم وراوِرَ حجرتها عيونُ الصمت. كانت  
حدّقاتٍ في سماءٍ سوداءٍ تحتضن السطوعَ الأخير أمام  
مرأى المهزلة...

والكائن...

ماذا يترك له هذا المدى المكسور كالزمن، هذا  
السطوع البارد الممتد إلى غربة الحجر؟ ماذا يزره سوى  
رنين المعدن وقرقعة الحديد؟ والكائن، ذلك البهائم الخادع،  
ألا تترك له الجموع سوى بقايا وجهٍ وملامحٍ مُتَعَيَّرَةٍ؟ ألا  
يُحَفُّ أهدابه الزمن، ويخرجُ الرشأ، بعدُ، من عينيه؟ ألا لن  
يستطيع قادم رفع الخرافة، ألا لن يبقى قادم...

تباعدت خطوات المهرج، واستغرق في الطحالب.  
تفسخ وجهه واندلغ فيه الطلاء.  
أههههههه،  
يضربُ  
في  
هدوءٍ

صاحبٍ

حدودَ

التّيهِ،

يقنّع فسوخَ الجسد. كم عانى الغبار، وصوّرَ دموعَ  
الأرض ولهاثَ الغابات. كم رمى في الجذور قهقهاتٍ  
تنعى الهواء، وركبَ النّثارَ على أهازيجِ المدارِ المحاصر. آه،  
تباعدتَ خطوات المهرجِ الكائنِ

في

الخواءِ

الـ

الح...ج...ري...!

بعيداً

بعيداً

ترامتُ أعراسُ الهباءِ في وعودِ المفازاتِ، واستكانَ  
 الحجرُ إلى لغطِ المسافةِ. لكنَّ النساءَ ما زلنَ باكياتٍ،  
 حاملاتٍ إلى الإلهِ المشيحِ أرحامهنَّ، راقصاتٍ بيأسٍ  
 غريبٍ على نَعْيِ الترابِ وصَدْعِ المساءِ.

هناك... عندَ شفيرِ المسافةِ، حيث  
 لا رعدَ ولا التماعِ، يتلوى في مراكبِ الهيولى  
 المشوّهةِ حلمُ الطاغوتِ، مضرّجًا بعويلِ  
 الصدى. هناك، عندَ شفيرِ المسافةِ، يركضُ  
 الطفلُ محاصرًا بإعصارِ الحديدِ، باحثًا عن  
 البحيراتِ واللوتسِ، حاملًا بغاباتِ القصبِ  
 والأعشابِ. هناك يسقطُ الطفلُ في تعبِ  
 المسافاتِ، مضرّجًا ببهاءِ الجموعِ الكاذبِ.



أما كانَ في عينيكَ اغتسالُ الشمسِ؟ أما  
صارَ في عينيكَ ارتطامُ الصدى بالحطام  
الجسديِّ؟ أيُّها الطالع من رعشة السنابل،  
أيُّها القارع أقنعة المهزلة، كن في الحلم  
صَحْبًا، كن بقيَّة الانسلاخ، وليحترق  
الجسدُ - هذا الفضاءُ المسكين.

كانت الأشياءُ تزني، وحوها قطعانُ من النشيج.  
كان الجسدُ أبدًا ينفصلُ عن الجسد، والمسافاتُ تنهبُ  
الفراغَ. بَيِّدَ أَنَّ الجباهَ تسألُ عن بسالةِ الحاضر، والمساء  
يقهقهة خلفَ أسرابِ القطا المهاجر. لَيَطْرُدَنَّ الوميضَ هذا  
الفراغُ الأخير، لَيَلْتَقِطَنَّ السوسنُ وجهَهُ من تحتِ نعالِ  
المذبحة.

بيروتُ تهدأُ تحت قرقعةِ المعدنِ.

بيروت في مزرعةِ الحديدِ بعضُ أقبيةِ الجوعِ، والفراعُ  
ضبابٌ ممتدٌّ في الطبيعةِ الوحشيّةِ. وهناك، في غابةِ العراءِ،  
يمتدُّ صقيعُ النظرِ، ويرفلُ الصمتُ على حريرِ الجليدِ.  
هناك، في رخامِ العطشِ، تركضُ، أيُّها الطفلُ، وحوالكُ  
ألفُ ألفِ درعٍ، وفي عينيكُ يلمعُ صليلُ السيوفِ. تركضُ  
كأنَّ الصدى أيقونةٌ لتحوُّلكُ الوحشيِّ، والهاجسُ أفقُ  
من الدمعِ والدماءِ...

وتبقى حولكُ الأرضُ نزيهاً،

تبقى حولكُ أسرابُ القطا، والوراوِرُ، والكراكيّ  
هجرةً إلى صبرِ رخاميِّ. لكنكُ صرتَ وحيداً، تتصاعدُ  
في الأفقِ الداميِّ، ويفلتُ منكُ الطيرُ، تُفِلتُ رفوفُ

الكرائي واليما، وأنت تتهدّل كالأحمق حول غدران  
الهباء، تمسح بدمعك الرخام، وتصطاد الشواهد  
العمياء...

بيد أنّ الكائن يرقص في ثياب التراب، يرصد  
النجوم بنهم غريب، وغابات القصب تستحيل حلمًا في  
ذاكرة ظمأى. كانت المدينة تقف مشدودةً في تواتر  
القرع، والكائن يحمل طبلاً. ألا لن تبقى زفرةً إلا مخيطةً  
برموش الفضاء، لن تبقى زفرةً أم...

لبيك، يا بحيرةً من النطق المحجّر،  
لبيك يا شمسًا من الرعب والجليد.

كان الطفل يركض في رحيل  
الطفولة، مُتَحِلًّا بكَارَةِ الأَلْوَانِ، هَامِسًا فِي  
الرَّمَادِ: "غَيْبِي أَيْتَهَا الخِرَافَةَ، وَلِيَتَرَاكُم مَدُّ  
الهُدُوءِ عَلَى غَيْبِيَةِ الحَلْمِ السَّاجِي... " كان  
الطفلُ يَجْمَعُ هَتَافَ الجَسَدِ، وَيَطَارِدُ الأَحْلَامَ  
الْمُتَبَدِّدَةَ.

أَلَا فَلْيَهْدِ التَّائِهُونَ، وَلْتَرُقِدِ المِسَافَةُ عِنْدَ أَطْرَافِ  
الهِاجِسِ. وَأَنْتِ، أَيْتَهَا الأَرْضِ، انكسري، انكسري...  
كَانَتْ عَيْنَاكِ تَفْلِشَانِ الجَسَدِ، وَتَلْتَقِطَانِ أَشْيَاءَ الدَّمِ فِي  
مَهَبِّ الذَّهُولِ. أَلَا فَلْيَهْدِ التَّائِهُونَ، فَالْبَرْقُ صَامِتٌ عِنْدَ  
شَفِيرِ الأَلْفَاظِ، وَالأَرْضُ حَبْلِي، تُوَاصِلُ الرِّقْصَ فِي  
حَلَقَاتِ الدَّمِ.

سلامٌ للمهْرَجِ الذي ينهضُ في الدماء،  
سلامٌ للكائن المشدودِ إلى الطبل،  
سلامٌ للأشلاء والجسد،  
سلامٌ... سلامٌ للأرض المفتتة،  
وَلِيَنْعَ الطوفانُ صمتَ الهدير، لِيَنْعَ الجذورَ  
وغاباتِ السوسنِ والقصب... وأنتَ، أيّها الطفل الغارق  
في سهولِ الخواءِ والصقيع، لقد أَرَيْتَنَا الضبابَ ينسلخُ عن  
البهاء، لقد أَرَيْتَنَا الأشلاءَ في حصادِ الرماد. ألا، أيّها  
الطفل، نَمْ، فقدَ أَيْقَظْتَنَا لنحصدَ الليل، ونرصدَ قناعَ  
المهزلة...



\_\_\_\_\_ ملحق أوّل: مشاهد الغابة





## شجرة

أُرْقَصْ، أَيُّهَا الْوَرَوَارِ، فِي فِضَاءِ الْجِرْحِ، فَالْغِيمِ  
حَوْلِكَ أَسْرَابٌ مِنَ النَحِيبِ، وَالْأَرْضِ قَرْعٌ طَوْطَمِيٌّ  
يَدْخُلُ جَسَدَ الْفِضَاءِ الْمَرِيضِ.

كَانَتْ صَوَاعِقُ الْحَدِيدِ تَخْرُجُ إِلَى عَيْنِكَ، تَارِكَةً  
خَلْفَ مَسَارِهَا الرَّمَادَ وَالْأَسْنَ. كَمْ رَكُضَتْ فِي سَمَاءِ  
الْعُرُوقِ، مُحَاصِرًا تَاجَ الْمَسَاءِ بَرَعِبِ الْيَقِينِ. كَمْ هَوَيْتَ فِي  
هَذَا الدَّمِ الْمَحْرُورِ، سَاجِبًا خَلْفَكَ غَابَاتٍ مِنَ الزَّفِيرِ  
الْأَخْضَرِ، مَاحِيًا آثَارَ اللُّوتَسِ مِنْ حَنَاجِرِ الدَّرْبِ الْبَلَّاهِثَةِ.

## شجرة

تكسّرت المرايا على جنادلِ الخواء،  
واحتضنَ البردُ أبجديةَ الصمتِ العاقر.

ألا كوني، يا بيروت، بابَ التحوّل، واشتعلي في  
قداديسِ العويل وأصْباغِ المهرج. ألا هاجري في هذه  
الغابة من الحطامِ الآدميِّ، وملمي ريشَ الحدِّ المولول،  
وكوني الوجة والقناع،  
كوني الشرخَ والرأبَ والكائنَ  
يا بيروت!

## شجرة

مطرقة صمّاء تضرب الجذر الذي يخرج من

الجسد،

والأرض حوار عقيم في مفاصل الزوبعة.

## شجرة

يُخرج الكراكيّ من عين الماء. يُخاطُ إلى سماء الغابة  
الهاجعة. لكنّ غموضَ البهاء يترك على رداءه الثلجيّ  
بقعًا من أوار المسافات، ويفرش في حَفَقِ جناحيه  
سلاسلَ الغربة. أيّها الساكنُ في الحلم البعيد، كم هاجرت  
فيك حشرجةُ الغاباتِ وأنينُ المياه، كم هاجرتُ فيك  
الصلواتُ والقداديس...

واللوتس،

أما كان يأتي إليك متوجًّا بحنانِ الماء؟ أما كان  
يرتدي حَفَقَ جناحيك، ويباهي في فحولة العشب؟ كان

اندفاع الربِّ سَكِينةً صَاخِبَةً تُعَبِّرُ عَيْنِكَ وَهِيَ مُتَّجِهَةٌ  
بِالأَشْيَاءِ إِلَى حَضَنِ الأَرْضِ -

يُخْرَجُ الكِرَاكِيُّ،  
لَكِنَّ الصِّدْقَ يُعِيدُهُ إِلَى سِلَاسِلِ المَسَاءِ.

## شجرة

أيّها القطا، ماذا تخبرنا عن أرض ضاعت منها  
الثلوج، وانحجرت فيها الأشياء هاتفة لارتحال السطوع؟

كنت في هوة الانحدار تتلاشى على محطّات  
الفجعية، والأرض حولك مهرجان رهيب من البهاء  
الصريع. كنت في مفاصل الزوبعة هتافاً سحيقاً، يحلم  
بالبراري، ويلجمه الحلم الخؤون...

أيّها القطا،

كم عدّبتَ هذا الجرح المفتوح!

## شجرة

يخرج الليلُ من الجذور، والأشياءُ تهتفُ لاندحار  
 الأشياء؛ غيرَ أنَّ اللهاتِ يندفعُ حاضناً عُهرَ العطشِ  
 الأبدِيِّ، والنساءُ يستعرضنَ غشاوةَ الكائن، ويتحسرنَ  
 على غيابِ الذكرِ... كُنَّ هاتفاتٍ خلفَ مَدِّ من الجليدِ،  
 يُقُدُّ صراخُهُنَّ عويلَ الورورِ المهاجرِ...

هكذا تخرج البهجةُ الغامضةُ من السطوعِ  
 الأعمى، وَيَسْتَأْثِرُ الحجرُ باختلاجاتِ النبات. هكذا  
 تنسدلُ المسافةُ على المسافة، ويفقد الكائنُ قِبَعَةَ السطوة.

وداعاً أيها المدى الحديديّ،  
لقد شيعناك بالخواء الدامي، لقد طمّرنا عويلك  
بالفجر المحتقن داخل ضلوعنا النازقة.



## شجرة

يلتمس الرماد مسارًا في بطن الأرض، محاصرًا ألقَ  
الغصونِ بوجدِ الليل الباكي. ينقر الرمادُ حافةَ السماء،  
ويستيقظ "الغامض" في حلة عرجاء...

يبقى الرمادُ داخل الجذُر،  
يستقطبُ المجاعة،

ينحدرُ

يَنحدرُ

حتَّى

آخرِ

البكاء...!

## شجرة

الأرض تقرعُ صدرَ الكائن،  
والمدى يوقظ الغشاوةَ ويغزل الليل -

تُرى،

ما الذي يختلجُ داخل هذا الرحم الأسود؟

## شجرة

في طرف الغابة تخرج الكائنات الليلية، تقرع  
حفيف الأوراق على شُعبِ الخريف، تلملمُ أسْمَالَ  
الصدى في ثغرة الهدوء الكوني.

هناك... على الشفيرِ الأعمى، يقرع طبلُ الجنونِ  
القتيل، إذ تنزياً الأعراسُ بألوانِ الحرباء، ويستخرجُ الواقعُ  
أفنعته من تاج الليل.

هناك... في طرف الغابة، عند الشفير الأعمى،  
حيثُ لا حسَّ خارجًا من مدار الحديد، يمتدّ المرمر بحرًا  
من الأرق الصقيعيّ، يلفّ بكارّة الأرض.

ملحق ثانٍ: مشاهد المقبرة



## شاهدة

الظلّ ينمو على غصونِ الجليد المرمريّ، والليل  
ينسجُ تاجه بخضّم اللازورد. كان أرذوازُ الأشياء طقسًا  
ينغلقُ في الطوطم، يسحبُ هتافَ العظامِ خلفَ قوافلِ  
العويل. والبذورُ التي غلّفها ضبابُ الليل تنام منهوكةً  
داخل الرحم الأسود، مغلقةً على انتحارها البطيء نوافذَ  
الحشرجة والدموع...

الظلّ ينمو،  
يمتدّ على غصونِ الجليد المرمريّ...

## شاهدة

هناك... في الليل الغارق عند أعطاف المسافة،  
في الصمتِ الهاجعِ تحت جليدِ البحيرات المرميّة،  
هناك... في أفق السديم الأبيض، ينام الهدوء المسكون  
برعب الأسلحة. والطيرُ الغافي على ثوبِ المفازلت يقرع  
الصمت، حاملاً في ريشه ترهُلَ المدى، ورائحة الصنوبر  
والسنديانِ النائحين.

هناك... في هبوب المسافة البيضاء، يتناسخ  
الكائن، حاملاً بين دموعه طلَّ الأرجوان المفقود.



## شاهدة

وردةُ الأرض تحتضن التراب، تزحفُ على أعمدة  
الهبوب، والطلَّسُّم المتروكُ على المداخل يتصدَّ الشموسَ  
القتيلة.

ثمَّة سيف ينكسرُ على ثلوج النظر،  
يُغويه هبوب منطفئ،  
والأرض حديقةٌ من الأحجار تزرعُ الحتَّ،  
وتحصد الأفتعة.

## شاهدة

تستفيق الذكرى على سديم الرخام، والليل  
يتدحرج فوق كُوةٍ بحجم الأفق؛ بيدَ أنّ الأرضَ تمسحُ  
المعجزة، والبحرَ ينكمش في قعقة الحديد. وتستيقظ  
الوراوُرُ على سرير البكاء، يستيقظ الآسُ من هجرة  
الأقنعة، يرفو الكائنُ الأرضَ بالجرح، ويعثر المسافة.

لكنَّ وجهك، أيتها الأرضُ، يبقى في قلبي، مطليًا  
بأعمدةٍ من العويل، محبوبًا بمآتمِ الكرزِ الوحشيِّ.  
ويعصف، يزهو على امتدادِ الرخام، حيث يساقطُ الأفق

ممزوجًا بالخدیعة، یعلق بفؤوسِ اللیل البیضاء، ویعوي بین  
هذه السنابل المملوءة بالجوع والدم.

## شاهدة

كان الهواء ينسحب، والهباءُ يتناثر على رصائف  
الذكرى. اخرج، أيها الطوفان، من فضائك الحديديّ،  
وَأَرْعَ في حقل هذه المسافة المعدنيّة. غيرَ أنّ الصدى  
يجب الصور، وقلم الأعاصير ينبجس صامتًا، صامتًا.  
اخرج، أيها الطوفان، ولتترتم حولك الأشياء مع اختناق  
المسافة وانحسار المفازات، ولينطلق ربُّك الأبيض مكسّرًا  
هدوء المسافة، ماسحًا منها هذا الكائن الأبله.

لكنّ القرمز الملتهب يخرج من مسام الانتظار،  
وفحولة الأرض تنام على سرير العشب الميت. ألا اصح،

أيّها الطفل، وحدّق: لقد تهافتَ حبرُ الدموعِ في أرصفة  
الصوّان والدماءِ، وامتدّ عقربُ المساءِ.

ألا اصْحُ، أيّها الطفل،  
لقد تلبّد جرحُ المساءِ،  
وانثقبَ التاريخ.

## شاهدة

ضباب الأرض يخرج من فاجعة الأحجام، يطرز  
الجرّد بالوجوم، وينام تحت أغصان الأرض تعبًا.

آن يخرج القمر اللاهّب من أعصار المعدن، ويجوع  
النورس إلى امتداد البحر، تعانق الأرض هوة القناع،  
ويهبّ النفير من الخواء الخواء...

آآآآه،

هذا المساء القاسي الذي

يُخاطُ إلى قميص الفضاء الأسود...!

## شاهدة

نَسْلُكَ الأَبْيَضِ الثَّابِتُ يُضْرَمُ مَعِيَ السَّكُوتُ،  
وَرَحِيلُ الأَشْكَالِ يَتَكَسَّرُ عَلَى القَطِيعِ المَرْمَرِيِّ. وَهِيَ  
ذِي بَقِيَّةِ الصُّورِ تَتَصَاعَدُ فِي انْكَسَارَاتِ الحَنِينِ عَلَى تَاجِ  
الليلِ. كَأَنَّ الأَرْضَ فِي نَسِيجِهَا الغَامِضِ تَتَشَّخُّ بِسِتَارِ  
الرَّمَادِ، وَتَتَصَقَّلُ وَشَاحَ المَسَافَاتِ بِجَبْرِهَا.

والمهرج،

ذَاكَ الوَجْهَ الهَائِمُ المَلْوُوحُ مِنْ نَافِذَةِ الغُرْبَةِ الكَوْنِيَّةِ،  
يَطْرُقُ بَابَ السَدِيمِ الأَبْيَضِ، وَيُدْفَعُ الوَمِيضَ المَقْهُورَ إِلَى  
حِشَاشَةِ الطَّعْنِ الدَّاكِنِ. كَمْ عَانِي غِبَارَ المَفَازَةِ، كَمْ

اقتطفَ الدمعة، وانحدرَ بين الرمش والرمش، بين القطرة  
والقطرة. لكنّ الأشكالَ سحبتُ أختامها من عينيه،  
وزنّتها بشريط القطعانِ المرمرية البيضاء.

ألا، أيّها المساء القاسي،  
صِرْ في صلفِ الدروعِ  
سطوعَ الكوكبِ الأخير.



## شاهدة

لَبَّيْكَ، أَيُّهَا الْبَدْرُ السَّاقِطُ فِي لَهَاتِ الْبَرْدِ،  
لَبَّيْكَ، أَيُّهَا الصَّاعِدُ فِي الْحَشْرَحَةِ، أَيُّهَا الرَّامِي  
جذورَ النَّبَاتِ فِي أَلْيَافِ الرَّمَادِ. نَحْنُ لَمْ نُبَارِكْ إِلَّا الْحِرَابَ  
الْمُسْرَحَةَ؛ نَحْنُ لَمْ نَتْرِكْ إِلَّا الْعِظَامَ وَالْحِرَابَ وَالضُّبَابَ.

لَبَّيْكَ، أَيُّهَا الْوَرْدُ الرَّاحِلُ فِي الْمَعْدِنِ.

لقد هَجَعْنَا فِي الفجاءة، وَالجَيْنَ انحناءاتِ  
الأشكال. لكنَّ السَّرَى ما زال عابراً أَعْضاءنا، تارِكاً فِي  
قَرَعِ المهرجانِ جَلجلةَ المذبحة.

لَبَيْكَ، يا بَحْرًا من الصقيعِ الأبيض.  
لَبَيْكَ، أَيُّها البجعُ المرمريّ.

## شاهدة

كان قرنفل الشرارات يدخل خواتم "الغامض"،  
والشوك الطالع من مفاصل الزوبعة ينفخ الأفنعة في مدار  
المهزلة.

وتخرج، أيها الرشأ، من همس العشب. كم كُنتَ  
عند حدود الأسطورة تغيب في وهج اللهاث. لَتَرُقُصَنَّ  
حولك النيرانُ في الزفير، وتَبَلِجَنَّ الحَيَلَاءُ من وميضِ  
الاغتصاب. أنتَ الصورة الوحيدة لِشَفِقِ الحنين، أنتَ  
الأفق الوحيد أمام السياجات المترامية حول مدرا الخرافة.

ألا أيّها الرشأ،

كن قهقهةَ الدمِ النازفِ

بطيئاً

بطيئاً...

## شاهدة

أَيُّهَا الخَطَّافُ الأَبْيَضُ، أَنْتَ وَحَدِّكَ السَّاحِبُ  
مَعِيَ حَسْرَاتِ النَّبَاتِ. أَنْتَ مَجَازِيفِ الصَّوْتِ البَعِيدِ  
الرَّاحِلِ فِي ثَلْجِ المَسَافَاتِ... أَنْتَ، أَنْتَ وَحَدِّكَ تَرَى  
الطَّفُولَةَ تَحْتَرِقُ فِي المَهْزَلَةِ، تَطْلُعُ مِنْ هَدِيرِ الأَقْصَى، مِنْ  
وَعْيِ المَكَانِ المَسْكُونِ بِالأَسْلِحَةِ وَالحَدِيدِ.

أَيُّهَا القَارِعُ شَمْسَ الزَّحْفِ العَاقِرِ، التَّارِكُ فِي سَهْوِ  
الأَنْوَاءِ حَرِيقَ الفِرَاقِ، لِيَكُنْ هَذَا المَدَى حَوْلَكَ قَارَةً مِنْ  
التَّعَبِ، وَلْتَهْدَأِ الجُنَادِلُ الضَّارِبَةُ فِي الفِرَاقِ الصَّفِيقِ. لَتَكُنِ  
النِّسَاءُ قَادِمَاتٍ إِلَيْكَ، حَامِلَاتٍ أَبْوَاقَ الرَّمَادِ إِلَى الجُنُودِ،

مُلَمِّمَاتٍ بَقِيَّةَ الفَحْوَلَةِ فِي خِصَاءِ الأَفْوَلِ... أَلَا أَيُّهَا  
الصَاعِدُ مِنْ دَمِ الخَزَامِي وَأَثْدَاءِ اللِّهَبِ المَجْنُونِ، أَلَا قُلُّ:  
كَانَ الهَوَاءُ رَخِيصًا؛ كَانَتْ جِرَاءُ الغَيْمِ تَعْوِي هَارِبَةً؛ كَانِ  
الحِصَارُ قَدَرْنَا فِي وِبَاءِ العَمَى وَالصَّمْتِ.

أَلَا أَيُّهَا الخَطَّافُ الأَبْيَضُ قَلِّ مَعِي:  
"أَنَا الصَّدَى الَّذِي يَلُوحُ لِعِصْوَنِ المَسَاءِ،  
أَنَا الطِّفْلُ المِصْبُوعُ بِالجُوعِ،  
أَنَا بَابُ المِهْزَلَةِ."

ملحق ثالث: مزموور الذي لا اسم له





أيتها النبوءة، كم نسجنا أحلامنا على الموج، قبل  
انبلاج الدم الصخّاب. كم ركضنا معًا، نقطفُ نجومَ  
اللوتس من بحيرة السماء. كم نشرنا هَرَجَ الصباحاتِ  
وهَرَجَنا... لقد شهدَ الطيشُ اندحارنا أمام قوائم المهرج  
الطفل. لقد شهد الطيشُ اشتعال المهرج في أودية الصوّانِ  
والحديد...

وأنتَ، أيّها الضارب في ضباب المدى، يا مَنْ لا  
اسمَ له، تخرج من عيونِ الفضاءِ وجِلْدِه، من عيونِ الأرضِ  
وجِلْدِها، تَشْطُرُ الجسدَ، وتختُمُ الكائنَ بالدم المحرور...  
لقد شاهدتُ ولادةَ "الغامض" فينا، شاهدتُ الولادةَ في

أقصى عُتُوهَا، وانحدرتُ انحدرتُ، شيئًا فشيئًا، إلى الظنِّ،  
إلى الأفكار المحمومة...

رأيتُ "الغامضَ" يمسحُ دموعَ النبوءة، ويزرعُ في  
الزمنِ فِخاخَه. رأيتُ النساءَ يركضنَ، وقد فقدنَ اسمَهُنَّ،  
يعانقنَ الهبوبَ الأعمى. رأيتُ

الأرضَ

تنشقُّ

عن

ثوبِ

الكائن،

تتبرك في الحديد، تزحف نحو رخام الفكر المقفر.  
 رأيتُ الخرافة تدخلُ جرحَ "الغابة"، خلدًا يغلقُ على نفسه  
 أبوابَ المدى، وينحجرُ في ظلّمته الأبدية.

لبيك، أيّها الحاضرُ. كنْ هجرةً في الرماد. كن  
 النسيجَ يكتب بحبر الدموعِ أسطورةَ الجموعِ المنتحرة. كنِ  
 الأباطيلَ في أقنعةِ بيروت، ولتلبسك هذه السائمة...

(كان الدم يلوح للبعلِ المفقود،  
 والسماءُ تنسج ظلالَ اللعبة. كان الطفلُ  
 يركض بين الحصى، يأوي إلى نتنِ الليل،  
 ويرفعُ الأحابيلَ والأقنعة. كان باكيًا بين

جذور الرماد، يعضّ الرخام الأبيض، ويرفعُ

طَلَّسَمَهُ الجديد!

طويلاً

طويلاً

تنحدر

الأرض

في الصراع المثخنِ بالهزائم،

تدخل أحشاءَ الجرح في عيونِ الجهاتِ التائهة؛

ويبتهج المساء حول مائدة "الغامض". ألا أنحدري، أيتها

الأرض، في انهيار الجهات، وَلِيَتَمَدَّدَ في أحشائكِ الحديدُ

والمدى المعتم.

سلامٌ لكِ أيتها الأرض،

يا طَفْحَ الرمادِ في سلامِ الدم والنشيج،  
يا أسطورةَ المهزلة.

(كُتِبَت القصيدة بين ٢٥ آب ١٩٨٠ و ١٣ شباط ١٩٨١)



ديزيره سقال

# فرسيس







(...ونرسيس هنا ليس شخصية أسطورية وحسب، بل هو خلاصة ذات كلِّ منّا في هذا الوطن الممزّق، تنعكس في مراياه، وتبحث عن إرضاء نفسها، ولا تنتهي إلا إلى هذا الأمر... إنّها ذات كلِّ منّا حين لا يكون فيها سوى الرغبة المحرقة في أن تنتزع كلَّ شيء لنفسها، ولو كلفها هذا ضياع الوطن...)



## أطيف نرسييس

غَرْفًا ،

مُصادفةً مُفاجئةً كالصّدمة،

ملاءً وعلماً،

رعشةً،

ما زلتَ، ما زلتَ، يا نرسييس ...

## - طيفٌ صفرٌ -

في هذا الفراغ الأوحده، تُحشّر انعكاساتك حول

الذعر، وجعاً حنوناً...

في هذا الفراغ، مُمَرِّقٌ شَمَلِكٌ،

مَسْكُونٌ بِأَلْفِ أَلْفِ هَاجِسٍ.

### - طيف ١ -

كيف لا تعرف الأشياء،  
وأنت ما زلتَ شيئًا مثلها؟

### - طيف ٢ -

عندما أَسْكُنُ مَأْسَاتِكَ، يروقُ لي أن أُحْمَنَ ذَهولَكَ  
أو ارتباكَكَ الصَّعْبَ كالأرض. وإذ يُتْلَفُكَ انتظارُكَ  
الدائريِّ، يقودني حُبُّكَ إِلَيْكَ، تفتح نفسي، وأبدأ.  
ههنا

لا شيء سوى التوق إلى الوصول،

إلى وطن بعيد عنا كأنفسنا...  
وحين يتسرّب الطيش إليك في غمرة الجموع  
تعرف أنك صرتَ وحيداً،  
وأنتك انكسرت...

- طيف ٣ -

يعاودك بُعدك عن ذاتك، غَضَبَ أَخَذَ  
في هذا الوطن المنزوع الوجه.  
لَعَلَّه الألق.  
لَعَلَّه الغياب...

## - طيف ٤ -

في غمرة الحنين عوالمٌ غارقة، يحجبها ألفُ ستار  
 وستار. وعيناك قائمتان تبحثنان عن طريق.  
 بعيدٌ هو الوصول في حضن الأم،  
 بعيد هو الإياب.

## - طيف ٥ -

يغلقك انتحار.  
 يفتحك انتحار،  
 ووردةٌ حمراءٌ لا تعرف إلا الانتكاس...

## - طيف ٦ -

ضياغٌ  
 بين النافذة المقفلة  
 وانفلاتِ المدى.

## - طيف ٧ -

بين ذاتك والآخرين ضياع،  
هل تخرج؟

## - طيف ٨ -

عندما يشحب وجهك بين المسافة وعناقيد  
الجوع، أتراك تُراك، يا نرسيس، أبعد من وهمك؟ تُراك  
أغمض من أن تصير شيئاً؟ أو وجهك يتقاطع بين  
الأشلاء، فلا ملامح ولا قناع؟

عندما يُقصيك جرح الوطن عن ذاتك البهيّة،  
ويطاردك الشوق في كلّ ملجأ، ألا تُهدد عيناك

بالانتحار؟ ألا يكتمك الشوق فتأوي إلى نطفةٍ تحت  
 المهبّ تحوُّك لك فنَّا للضياع هكذا؟ وقد يسألك غبارك  
 الفضفاض عن عُريِّ، فتصمت، يا نرسيس، تصمت...  
 حتّى الغياب!

### - طيف ٩ -

ما يُجديك بعدُ

أن ترفع هذه الراية الممزّقة

بدمك؟

ما يُجديك بعدُ

أن تلثم هذه الأرضَ

بجسدك؟



## - طيف ١٠ -

وحين يصقلك السكوت، قد يعود إليك الوعي،  
ثمَّ ينبتُ فيك الورقُ والترابُ كما في الأرض.

حين يصقلك هذا الدم البهيّ، قد تعود وجهًا

واحدًا في الهبوب:

نصفه أوّل الطريق،

نصفه آخر الطريق.

(١٩٨٢ / ١٢ / ٢٤)



## قصيدة نرسيس

- ١ -

لماذا يَنْصَدُ حَوْلَ جَفْنِكَ هذا الوجودُ الرهيب،  
وَتُطْرَقُ عَيْنَاكَ نَحْوَ الترابِ في جزيرة العزلة الكبيرة، وسط  
الوطن؟ لماذا يَنْفَتِحُ وَجْهُكَ للمنْفَى، وحيداً، بلا ملامح،  
يصدَعُ السقفَ الذي تَثْقِبُه النجوم؟ وكيفَ تَنْبُثُ في  
شقوقِ الصخور، وأنتَ شهابٌ يَخْطُطُ الجرحَ، ويكسِرُ  
الفولاذَ والرصاصَ على أمداءِ الجسد؟  
هذا المنْفَى الطويلَ وَجْهُكَ، هذا الحَطَبُ المشتعلُ  
خلاياكَ الأبدية، هذه الذبيحةُ المتعالية نحو... الأرض،  
أنتَ يا نرسيس.

في أقصى العطش، حيث ريح المجاعة تسكبُ  
طولَ العذاب؛ في أقصى البرد، حيث الترابُ وجهٌ بلا  
مَلامح، تمتدّ أحشاؤك السرمديّة، يسكنك التيه العارمُ  
وأنت تلبس الرحيل، يا نرسيس، وتفتحُ غربةَ الوجودِ في  
أرضك الصغيرة، فيستيقظُ الغوى، وتكسرُ البراءة:

هنا

حول أيقونةٍ دنّسها النعاس، يهجعُ صمتك  
المرمريُّ، وترتدّ إليك آلافُ الحناجرِ المقتولة...

في أرضك الصغيرة بحيرة الصدى اللازوردي،  
 وسيوف المسافة تُقَدُّ الهباء. وكم أَرَحَيْتَ على عينيك  
 شهوتك الأبدية، كم اصطدمتَ بنفسك وأنت تبحثُ  
 عن ذاتك في حقول الضياع، لكنّما وجهك كان بلا  
 قرار، وهلعك الغريب صدَّ عنك الرؤيا.

كنتَ إِيَّاكَ دائماً.

كان الحنينُ مذبحتك الدائمة...

كُنْتُ إِيَّاكَ في حَجَرِ الصمتِ  
 تكشّطُ جلدَ الكلامِ

وتمحلُّ في الحلم الهارب.

كُنْتَ إِيَّاكَ

تستغرقُ في وجودك السرابي...

ولماذا يحملُ الفولاذ في رحلة الطيشِ إلى حقول  
الفجيعة، وأنتَ ذات بلا هويّة، تحاول أن تُمسِكَ  
بالصدي؟ لماذا يحترقُ الدهولُ عندما يغرقُ الزمنُ في  
عطش المسافة؟ ألا أَرَحَيْتَ على نزيقِكَ ستارَ الهدوء،  
وعُدتَ من صَحْبِكَ المصدوع.

كُنْتَ إِيَّاكَ،

وجهًا ماحلاً في غربة الحجر،  
صبراً سرمدياً يعتصر الأرض...

- ٢ -

متعبةٌ هي البقية. متعبٌ وجهك، يا نرسيس. ما  
أبطأ البحرَ يسقط بعيداً من أغوارك! ما أبطأ الأرض  
الدامية وهي تدخل إلى عينيك! مُتعبٌ وجهك يا  
نرسيس، فوهج الغيرة يسلبك الحيرة، والنار تُحرق  
التراب... وعندما يحفرُك الوجدُ على أزقة الجوع، يبقى  
لألاؤك الغريبُ رعشةً فريدةً في انتفاضة الأسن.

هكذا كنت: اندلاعاً في الأرض المحروقة، تبحثُ  
عن وجود خارج الوجود، تبحث عن امتلاء في أقبية  
السراب، وجسمك الحطبيُّ يُمسكُ بالرحيل... هكذا  
كنت: أبداً في ستارك المزمّن، توغلُ حيثُ لا رجوعٌ...  
لكنْ

بين طيفك الأثيريِّ وكثافةِ الحجر

سَفَرٌ طويلٌ،

وجرحٌ لاهتٌ لا يعرفُ الإقامة.

(١٩٨٢ / ١١ / ٦)



أصوات



## البحر

لِمَنْ، لِمَنْ، أَيُّهَا المرمَر الخاشِعُ ، كلُّ هذا الأَسَنِ  
الغريب؟ لِمَنْ سطوعُكَ المهيبُ على مَهَبِّ الرِّيحِ  
اللازوردية؟ لِمَنْ صَدَاكَ اللجوجُ، أَيُّهَا النرجسيُّ، بعدَ  
اختفاءِ المسافة؟

دونك المدى يخشعُ بين جِراءِ الوَدِّ وشمالةِ الغضبِ،  
وحول عينيك رَهجٌ من الأسرار...

أَيُّهَا الضِدُّ،

عَلِّمْنَا أَنْ نَكْتَنزَ الضِدَّ مِثْلَكَ.

عَلِّمْنَا أَنْ نَسْكُنَ هَذَا الْأَسْنَ الْمَخَادِعَ.

(١٩٨٢ / ١٠ / ٣١)

## الصدى

تَعْرُوكَ الرَّعْشَةَ، وَنِثَارُكَ، كَالْأَيَّائِلِ، يَقْفِزُ بَيْنَ  
 الشَّقِيقِ. أَيُّهَا الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ كَالظَّنِّ، أَيُّهَا الْإِنْعِكَاسُ  
 السَّرَائِيَّ فِي عَرَضِيَّةِ الْمَكَانِ، أَمَا لَوْ اسْتَحَمَمْتَ فِي سَبِيلِكَ  
 الْمُرْتَدِّدَ لَتَرْتَلَزَمْتَ فِي قَرَارِي صَوْمَعَةَ الْيَقِينِ، وَانْهَارْتَ عِصْمَةَ  
 الْمَعْرِفَةِ.

لكن،

بَيْنَ وَجْهِكَ وَوَجْهِ آلَافٍ مِنَ الْيَوَاقِيتِ السَّرِيَّةِ،  
 وَدُمٌّ طَوِيلٌ يَفْتَحُ زَنْزَانَةَ الْمَكَانِ...

(١٩٨٢ / ١٠ / ٣١)



## الأرض

رَحْمٌ أَمْ خَوَاءٌ يَتَهَيَّأُ لِلرَّحْمِ؟

وجهٌ بينَ الفينةِ والفينةِ يصدعُ اليقينَ، يُوحِّدُ الجزءَ،  
ويقدِّسُ التواصلَ. وجهٌ يكرِّسُ فعلَ الديمومةِ بينَ الهوَّةِ التي  
تألفُ وهجَ السقوطِ والعُريِ الذي يخرقُ هشاشةَ العالمِ.

رَحْمٌ تَكْوَّرُ فِيهَا السَّرُّ، وَخَوَاءٌ يَمْتَصُّ الضَّوْءَ

والأشياءَ. هذا حضورُك:

سَرْمَدٌ أَخْضَرُ يَبْقَى عَلَى تَهَيُّؤِ،

هَدَاةٌ خَفِيَّةٌ تَسْرِبُ إِلَى الْأَشْيَاءِ...

(١٩٨٢ / ١٠ / ٣١)





## الحلم

ثُمَّ، بَيْنَ هَفْوَةِ الْحِسِّ وَطَعْمِ السَّرَابِ، انْصِدَاعٌ  
جَمِيلٌ، وَتَوَتَّرٌ يَفْتَتُّ الْيَقِينَ. ثُمَّ اسْتِسْلَامٌ لِمَهَبِّ عَجِيبٍ  
يَسِيحُ الْحُدُودَ بِاللَّائِهَائِيَّةِ...

ثُمَّ نَوْعٌ مِنَ الْحُضُورِ يَشْبَهُ الدَّوَارِ،

أَوْ

قَسْوَةَ الْحَنِينِ

إِذْ

يَنْفَتِحُ اللَّوْنُ وَالْمَدَى

على مصراعيهما،  
ويبدأ الرحيل  
خارج المأساة المقيمة...

(١٩٨٢ / ١١ / ١)

## الكابوس الأخير

تعاودُني، ثمَّ تُقفلُ عينيكَ،  
 بعيداً بعيداً،  
 على لجة الهاجس المستحيل.  
 كانَ...  
 أوّل الحكاية "كان" المريضة،  
 وأوّل الصمت.

على عُنفِكَ المعتمِ ليلٍ وثير، وتحت وَهَجِكَ  
 الداكنِ فُتاتِ الحلمِ الذي أُنْجَبِكَ. بيننا الهوّة، إذ يستدير  
 على عُنفِكَ ليلٍ، ويَضغَطُ عليّ. وفي انسلالكِ البطيءِ  
 تَنحَلُّ قافلةُ الفكرِ، ويحملُ القافلةَ هَجْرٌ مُحْتَنِقٌ. على

عُنْفَكَ المَعْتِمِ أَمْدَاءٌ مَطْلِيَّةٌ بوجهي، وَأَزْتَالُ حديدِيَّةٌ تَخْرُجُ  
من جِرْحِكَ.

آخر الحكاية "كان" المريضة،  
وآخر الصمت.

## القريب

(إلى جوبي)

قد تُطَلَّ عيناك من وراء هذا الشفير الشفاف،  
إذ يُؤنِسُكَ تُرابُكَ، ويُتِفِلُكَ الدهول.

قد تَسْأَلُ عاصفتك أن تُسَكِنَكَ فيها، فتحملَ  
الليلَ المجروحَ، وتُقِفَلَ عيناك على كافوره المديد. وربما  
أشَعَلَكَ الظلُّ البعيدُ، فأخذَ تقاعُسَكَ، ومدَّكَ إليه.

لكِنَّكَ

أنتَ الغريبَ في هذا الوطن الغريب،  
تحملُ في جيبك السفرَ... وتحلم...  
... وتحلم...

(١٩٨٢ / ١٢ / ٢٧)

## الأرج

هَوَاؤُكَ المديد يرصعُ الثرى، ووجهك مدُّ تحت  
الدرب. وهذا المهرجانُ الصامتُ كيفَ لا يمسحُ الصلاةَ  
عن عُزِّي البراري؟

حَوْلَكَ هذا الوطنُ المتورّم،  
حَوْلَكَ الصبرُ الطويلُ في الخشوعِ الأبديّ.





## الدخان

غُيُومٌ... غُيُومٌ... زَرْدٌ يَرِصُّ التَّرْجِيْعَ... شعوبٌ  
 شَفَافَةٌ عَلَى عَيُونِ الْمَدَى. أَلَا يَسْأَلُكَ هَذَا السَّدِيمُ الْمَقْطَعُ  
 عَنْ أُجْهَةِ الْجَرْحِ؟ أَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ مَدَى أَقْفَرَ مِنْ عَيُونِ  
 الصَّقِيْعِ؟

لماذا،

لماذا، إِذَا، هَذَا الْمَرُوقُ الْهَائِلُ؟

لماذا يَنْحَلُّ الْوَطْنَ فِيكَ وَيَذُوبُ؟

لماذا هَذَا السَّقُوطُ الْمَسْتَمِرُّ فِي مَدَائِنِ الْخِرَافَةِ؟

(١٩٨٢ / ١٢ / ٢٦)



## الحجر

وحدك قابع في كابوس صمتك، مُضرمًا صمتك  
في حقول الأسن السنوي، تُناديك الزرقة والخضرة،  
ويحاصرُك الوطن. فلم، أيها المأتم الغريب، شحوبك  
الأبيض؟ لم هذا التأمل البليد في هجعة الوطن التي لا  
تنتهي؟

ألاكن ملامح،

أَلَا كُنْ شَكْلًا،  
وَلِيَمْسِحِ الصَّمْتِ.

(١٩٨٢ / ١٢ / ٢٧)

## الوردة

تَمْضَغِينَ صَمْتَكِ الْأَحْمَرِ،

وَتُغْلِقِينَني

عليكِ،

أَيُّهَا الرَّائِحَةُ الْحَمْرَاءُ،

وَالدَّورَةُ الْقُرْمُزِيَّةُ.

تَكُونِينَ

ثمّ... لا تكونين،

وَأَعْبُرُ في نَسْغِكِ

نطفةً...

هكذا  
أحاول أن أسكنَ فيكِ،  
ويسكنُ الوطنُ.

## السماء

المدى حافل باللازورد، وجُزُرُ الأَبْيَضِ أَقْنَعَةٌ

مُبْعَثَةٌ.

هنا وهناك أَرْصَفَةٌ، وَبَيْنَ الْوَطَنِ وَالْوَطَنِ وَجْهٌ طَوِيلٌ

مِثْلِكَ... —

حَلْمٌ. فِرَاغٌ بَهِيٍّ أَبْهَى مِنْ الْفِرَاغِ.

امْتِدَادٌ غَرِيبٌ لَا شَكْلَ لَهُ،

إِلْفَةٌ بَعِيدَةٌ مِنْ الظَّنِّ وَالتَّصَوُّرِ، مَعْتَمَةٌ كَهَذَا  
الوطن.

النجمُ يسطعُ فوق الصوّان الأزرق،  
والممرُّ الفريدُ في خشوعه الأبدِيّ.

(١٩٨٣ / ٥ / ٢)



## الظلّ

دونك ستائرُ تُغلقني في مُنتصفِ المشهد، دونك  
مدى - كتابٌ للأشياء. وعندما تشرّبني صَفْحَةُ مِيَاهِ  
البحيرةِ أَقْشِرُ الهَوَّةَ وَأُنْحِي

حتّى

آخر

ال

سماء...

دونك المهاوي أصابعُ تقلبُ الصّفْحَةَ، والوَعْرُ  
مَدُّ من صَحْبِ الصّمت. وعِنْدَ قُدومِ النسيانِ  
أَكْتَشِفُكَ، وَتَخْلَعُ الأَرْضُ أَرْدِيَتَهَا، تُغَمِّسُ كَفَّيْهَا فِي  
الْتِمَاعِ كَالعَطَشِ -

لَعَلَّهُ الْعَطَشُ.  
لَعَلَّهُ...  
لَعَلَّهُ...

أرأكَ، حينَ أرأكَ كُومًا، هَبَاءً على رِذَاذِ الذَّاكِرَةِ،

أو

حَطْبًا،

جَمْرًا للمكان -

لَعَلَّكَ خَسُوفٌ.  
لَعَلَّكَ ال...  
لَعَلَّكَ ال...

لكنّما وَجْهَكَ يَسِيلُ، يَسِيلُ أَبَدًا بَيْنَ يَدَيَّ،  
ويحْضنُكَ التلاشي، يحْضنُكَ، ثَمَّة، صمْتُ مدهشٌ...

رَبِّمَا يَجِيءُ وَجْهٌ.

رَبِّمَا يَنْفَتِحُ هَذَا الصَّمْتُ الطَّوْطِمِيَّ.

رَبِّمَا يَصِيرُ سَاعِدَاكَ مَبْخَرَتَيْنِ

أَوْ جَسْدُكَ نَذْرًا...

رَبِّمَا يَمْسُحُ هَذَا الْوَطْنَ الطَّوْطِمِيَّ،

أَوْ...

يَصِيرُ، يَوْمًا، وَطْنَا...

وَحِينَ يَأْتِي وَجْهَكَ الْمَذْهَلِ، تَثْقُلُ كَالْحَقِيقَةِ، أَوْ

تَتْرُكُ الْأَشْيَاءَ فِي هَذَا النَّصِّ عَارِيَّةً، تَغْدُو دَوَارًا -

مَدَّاءُ،

كوناً يخرج من النطفة؛

وتنحني

حتى

آخر

ال

سماء...

صعبٌ حضورك،

صعبٌ أمت

كهذا الوطن الغريب.

(١٩٨٢ / ١٢ / ٢٣)





ديزيره سقال

# مدينة الغضب

(شعر)



٢٠٢٠





الغلاف بريشة الفنان وجيه نحلة



- ١ -

بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...

لُؤْلُؤَةُ السَّمَاءِ

وَنَوْرَسُ الْوَحْيِ الْمَدِيدُ...

بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...

وَرَدُّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ

طَعَمَ هَذِهِ الدُّنْيَا بِهِ

وَقَصِيدَةُ عُلوِيَّةُ

تَنْشَأُ مِنْ حَبْرِ سَمَاوِيٍّ شَرِيدٍ.

بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...  
بَيْرُوتُ...

حاشيةُ الرسالة،  
والعناوينُ العريضةُ،  
والبريدُ...  
بيروتُ... دَم!  
وجعُ ترسبِ في قلوبِ الناسِ  
كدسهُ العدم...  
حوريةٌ تكلّي،  
ودمغُ في عُيونِ الخارجينَ من الحُطامِ -  
فارَ الظلامُ على الظلامِ...

\*\*\*

حَتَّامَ نَمْشِي؟  
وَالدَّرُوبُ جَمِيعُهَا جَمْرٌ؟ -  
خُطَانَا بَصْمَةٌ مَجْرُوحَةٌ  
فِي صَفْحَةِ الْقَهْرِ الْمَقْنَعِ بِالرَّمَادِ.  
هُنَا بَقَايَا عُمَرْنَا.  
وَهُنَا عُيُونَ دَمْعُهَا تَارِيحُهَا،  
وَقُلُوبُنَا كَتَبَتْ بِهَا  
مَا لَيْسَ يَفْرَأُهُ الرَّمَادُ.  
وَجَعَّ مُعَادُ...  
حَتَّامَ نَمْشِي؟

كُلُّ آهٍ  
فِي أَنْيْنِ الْأَرْضِ تَكْلِي،  
وَالدُّمُوعُ رُسُومٌ حَتْمٍ  
يَقْهَرُ البَسَمَاتِ،  
وَالْقَدْرُ المَصْفَحُ بالحديدِ وَبِالعِظَامِ  
يَمْتَدُّ أفْقًا  
باردَ القَسَمَاتِ  
بَيْنَ اللَّهِ وَالدُّنْيَا.  
عُيُونٌ أُفْرِغَتْ مِنْ نُورِهَا،  
وَالْبَحْرُ أَحْمَرُ،

بَارِدٌ فَوْقَ الرَّكَامِ ...

بَيْرُوتُ دَمٌ ...

بَيْرُوتُ دَمٌ ...

بَيْرُوتُ حُلْمُ الشِّعْرِ

فَجَرَّهُ السَّدَمُ،

وَاللَّهُ عَيْنٌ

أَسَدَلَتْ أَجْفَانَهَا عَنْهَا

فَحَاصِرَهَا الْعَدَمُ.





- ٢ -

زَمَنْ

تُزِقُّهُ ضِبَاعُ الْأَرْضِ

خَارِجَةً مِنْ "الْحَرْبِ" الشَّرِيدَةِ.

زَمَنْ

تَنَاطَرَ أَحْمَرًا كَالْمَوْتِ

فِي وَجَعِ الْقَصِيدَةِ.

زَمَنْ الطَّوَائِفِ مَرَّقَتُهُ مُلُوكُهَا،

فَتَلَوَّنَتْ بِالمَوْتِ،

وَأَنْتَشَرَتْ غَوَائِثُهَا عَلَى الطُّرُقَاتِ...

ما زلنا فُلولاً  
تَحْتَمِي بِاللَّيْلِ وَالْعَبَثِ،  
نَمْضِي إِلَى الْمَاضِي،  
وَمَاضِينَا يَسُدُّ الْأُفُقَ بِالْجُنُثِ...  
نَمْضِي إِلَى عَدَمٍ،  
وَلَيْسَ سِوَى الْمَتَاهِ يَقُودُنَا،  
وَسِوَى ضِبَاعٍ  
أُثْقَلَتْ تَيْهًا وَبُهْتَانًا،  
وَلَوَّهَ الرِّيَاءُ.  
كُنَّا شَطَايَا خَاطِرٍ

مِنْ ذَهْنٍ عَشْتَارٍ .  
خَرَجْنَا مِنْ رِذَاذِ الْبَحْرِ ،  
مِنْ سُفْنِ الْقَصِيدَةِ ،  
وَأَنْتَظَرْنَا قَمَحَنَا وَبِدَارَنَا  
فَارْتَجَّتِ الدُّنْيَا ،  
وَحَاصِرَهَا الْفَنَاءُ !  
ضَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ .  
أَنْتَثَرْنَا فِي عُيُونِ الْبَحْرِ .  
عَلَيْنَا سُقُوفَ الْوَرْدِ ...  
لَكِنَّا خَضَعْنَا فَيْكِ ،

يا بَيْرُوتُ،  
لِلْبُهْتَانِ،  
وَأَنْفَجَرَ الْعَمَاءُ.  
زُمُرٌ تُحَاصِرُ وَجْهَنَا وَقُلُوبَنَا،  
وَتُحَاصِرُ الدَّمْعَاتِ فِي عَيْنِ التَّكَالِي،  
وَالْوُحُوشُ هِيَ الْوُحُوشُ  
تَأْوِي إِلَى ظُلُمَاتِهَا،  
وَتَهَيِّمُ فِي بَيْرُوتَ  
تَقْضُمُ مَنْ يَمُوتُ  
وَمَنْ يَعِيشُ.

زَمَنُ الطَّوَائِفِ وَالْمَلُوكِ  
يُلَوِّنُ الْمَوْتَى،  
وَيَتْرِكُنَا شَتَاتًا  
حَوْلَ عُنُقِ الْبَحْرِ.  
فِي هَذَا الزَّمَانِ  
يَمُرُّ كُلُّ الْعُمُرِ مُنْتَحِرًا  
عَلَى صَوْتِ الْوِلَادَةِ.  
فِي زَمَانِ طَوَائِفِ الظُّلُمَاتِ  
تُنْكَسِرُ الْأَغَانِي،  
وَتَدُوسُ وَجْهَ الْحَقِّ

أَقْدَامُ الزَّمَانِ،  
وَنَعِيشُ فِي ضَجَرٍ يُفْتُّ عِظَامَنَا،  
فَنَمُرُّ مُنْكَسِرِينَ...  
فَوْقَ ظِلَالِنَا،  
لَا جَبْهَةً لُجُوهِنَا،  
وَوُجُوهُنَا خِرْقٌ لِمَسْحِ الْأَرْضِ  
فِي قَصْرِ الظَّلَامِ الْمَسْتَطِيلِ،  
وَفِي مَتَاهَاتِ الْمَكَانِ.  
صَبْرْنَا نَعِيشُ بِلا زَمَانٍ...  
صَارَ الْمَكَانُ مَتَاهَةً،

صارَ الفِضَاءُ  
حَبْلًا عَلَى عُنُقِ الزُّهُورِ  
يُعِدُّ قَهْوَتَنَا صَبَاحًا،  
وَالشُّوَارِعُ حَبْلَ سَطْوِ  
ضَاعَ فِيهَا المَوْتُ،  
وَأَمْسَحَ الصَّفَاءُ،  
وَتَفَلَّتْ فِيهَا الضِّبَاعُ  
لِتَنْهَشَ الآتِينَ مِنْ وَجَعِ الرَّمَادِ،  
وَلَيْسَ لِلْمَوْتِ سِوَى المَوْتِ  
وَتَمْتَمَةِ التِّلاوَةِ، وَالسَّمَاءُ

تَبْكِي عَلَى أَجْدَانِهِمْ...

يا بَحْرُ،

لُفَّ مَرَارَةَ الزُّنْفَى

بَأَكْفَانٍ خَفِيَّةٍ،

وَأَفْتَحْ زُهُورَ الرَّعْدِ مِطْرَقَةً

لِتَنْكَبِ الْوَصِيَّةَ.



- ٣ -

أرْزُوْا إِلَى وَطَنِ ...

فَيَكْسِرُنِي فِرَاقِي .

الْأَرْضُ أَضْيَقُ مِنْ غُبَارِ غِيَابِنَا

وَمِنَ الضِّيَاعِ ،

فَلَا أُلَاقِي

غَيْرَ اِرْدِحَامٍ

أَفْرَغُوهُ مِنَ الْمَكَانِ ،

وَعَيْرَ أَشْبَاحِ عِتَاقٍ  
يَمْتَدُّ عِنْدَ حُدُودِهَا وَطَنُ  
تَطَاوَلَ كَيْ يَمَسَّ الشَّمْسَ  
فِي رَهْوٍ،  
فَأَفْرَزَ جِسْمُهُ دُودًا وَنَتْنَا  
رَدَّهُ صَحْرَاءَ بَارِدَةً  
تَهِيمُ بِهَا الضَّبَاعُ.  
طُعْمُ تَقْيَّأَهَا الزَّمَانُ  
فَلَا تُطِيعُ،  
وَلَا تُطَاعُ.

طُعْمٌ تَبْتُ اللَّيْلَ  
فِي خَطَوَاتِ مَنْ يَمْشِي  
فَيَنْتَشِرُ الضِّيَاعُ.  
حَجْرٌ أَنَا.  
صَوْتِي مِدَادٌ فَارِغٌ،  
وَالنَّاسُ مِنْ حَوْلِي تَهْمٌ  
كَأَنَّهَا عَفَنٌ يَفُورُ.  
بَشَرٌ تَدُورُ...  
مُسِحَتْ سَجِيَّتُهَا  
وَصَارَتْ أَضْبَعًا

لَا يَسْتَقِيمُ لَهَا شُعُورٌ.  
بَشَرٌ تَمَّصُ الْمَوْتَ  
خَاطُوا دَبْرَهُمْ بِالْعَرْشِ  
فَأَنْتَفَحَتْ عُرُوشٌ.  
بَشَرٌ تَوَارَتْ عَنْهُمْ جَبَاهَتُهُمْ  
لِتَحُلَّ مَطْرَحَهَا قُرُوشٌ.  
بَشَرٌ تَنَاسَوْا أَكْهَمَ بَشَرٌ،  
فَهَيَأُكْهَمُ تَمَاسِيحٌ،  
وَصُورَتُهُمْ وَحُوشٌ،  
وَالنَّاسُ حَوْلَ عُرُوشِهِمْ

صُورٌ لِبَابِلَ -

صُورٌ تُرَقِّعُ عَرْشَهَا بِنِظَامِهَا:  
فَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا الْقِبَائِلَ...

بَيْرُوتُ دَمٌ...

بَيْرُوتُ دَمٌ...

بَيْرُوتُ حُلْمُ الشِّعْرِ

حَاصِرُهُ الْعَدَمُ.

\*\*\*

أَرْزُو إِلَى وَطَنٍ ...  
وَلَكِنِّي أُلَاقِي ظِلِّي الْمَكْسُورَ  
فِي يَأْسِ التُّرَابِ  
مُوزَعًا بَيْنَ الطَّوَائِفِ.  
كُلُّ طَائِفَةٍ عَلَيْهَا قَبْرُهَا  
وَدَمُ الضَّحَايَا.  
أَلَّلِيلُ حَبْرٌ قَصِيدَةٌ صَمَاءُ  
مِنْ وَحْيِ الْمَنَايَا.  
أَلَّلِيلُ كِذْبَةٌ مَنْ تُحْصِنُهُمْ عُرُوشُ  
هَاجَرَتْ عَنْهَا الْقَضَايَا.

وَجْهِي شِرَاعٌ مِنْ عِظَامٍ،  
وَالسَّمَاءُ عَبَاءَةٌ تَمْتُدُّ  
فِي أَفْقٍ يُوشِحُهُ الدَّمَارُ.  
نَامَ النَّهَارُ  
عَلَى رَمَادٍ نَهَارِهِ،  
فَالصَّبْرُ قَلْبٌ مَيِّتٌ  
وَمَدَى بَوَارٍ،  
وَقَضِيَّتِي مَاعَتْ عَلَى الْأَسْفَلِ  
وَاحْتَرَقَتْ،  
وَصَارَتْ حَوْلَهَا بَيْرُوتُ خَارِطَةً

وَلَيْسَ بِهَا جِهَاتٌ:  
لَا جِهَاتٍ وَلَا مَدَى،  
وَالشَّعْبُ قُطْعَانٌ يُحَرِّكُهَا شِعَارُ  
وَتَقْوَدُهُ طَعْمُ الطَّوَائِفِ  
نَحْوَ مَسَلِّحِهَا، ذَلُولًا،  
حَيْثُ يُذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ،  
أَوْ يُبَاعُ وَيُشْتَرَى  
عَبْدًا يَعِيشُ بِكَذِبَةٍ كُبْرَى  
وَيَرْتَعُ فِي ظِلَالِ إِيَّاهِ الْمَسْبُوكِ  
مِنْ طَعْمِ الرِّيَاءِ



وَمِنْ ذَهَبٍ .  
شَعْبٌ تُحَرِّكُهُ الحُطْبُ .  
وَيَقُودُهُ جَلَادُهُ أُكْذُوبَةٌ كُبْرَى ،  
يُحْمِلُهُ سَيْوِفًا مِنْ حَشَبٍ .  
شَعْبٌ يُحَاصِرُهُ الرِّيَاءُ  
وَيُجْتَمِي بِالمَوْتِ  
مِنْ مَوْتٍ عَجَبٍ .  
شَعْبٌ يَمُوتُ وَلَا يُمِيتُ ،  
وَجِسْمُهُ مِنْ جَيْفَةٍ مَحْشُوءَةٍ بِالتُّرَاهَاتِ ،  
وَمِنْ حَطْبٍ !



- ٤ -

وَقَضَيْتِي أَنِّي  
أُسَافِرُ فِي الضِّيَاعِ ...  
بِلا قَضِيَّةٍ.  
وَقَضَيْتِي أَنِّي أَمُوتُ ...  
بِلا مَنِيَّةٍ!  
لا وَجْهَ لِي ...  
ضَيَّعْتُ وَجْهِي فِي عُبَارِ طَوَائِفِي.

مَرَّقْتُ تَارِيخِي  
وَصَارَ الصَّمْتُ تَارِيحًا طَوِيلًا...  
كُلُّ جِزءٍ مِنْهُ يَحْمِلُ مَوْتَهُ،  
لَكِنَّهُ يَبْقَى سَقِيمًا  
لَا يَمُوتُ...  
أَصْوَاتُنَا تَدْوِي بِلَا صَوْتٍ  
وَيَمْسَحُهَا السُّكُوتُ.  
أَشْلَاؤُنَا مَرْمِيَّةٌ فِي الدَّرْبِ  
لَمَلَمَهَا غِشَاءٌ عَنكَبُوتُ.  
آفَاقُنَا سَرَقَتْ مَعَالِمَهَا الضَّبَاعُ

لِنَرَقَعَ الْعَرْشَ الرَّهيبَ بِهَا،  
وَلَيْسَ سِوَى الْفَرَاغِ عَلَى خَرَائِطِنَا.  
هُنَاكَ تُبَاعُ طَائِفَةٌ بِدُولَارٍ،  
وَأُخْرَى بِالْمَرَاكِزِ،  
ثُمَّ تَسْقُطُ فِي زَمَانٍ  
لَا تُوَابِي فِيهِ،  
لَا وَجْهٌ لَهُ،  
لَا طَعْمٌ أَوْ مَعْنَى؛  
وَتُنْتَجِرُ الْكِرَامَةَ فِي صَهِيلِ الْعَارِ،  
يُنْتَجِرُ الْعَضْبَ.

فِي جَبْهَةٍ مُسِخَتْ مَلَامِحُهَا  
وَأَغْرَاهَا الذَّهَبُ.

شَعْبٌ يَصِيرُ بِلا مَلَامِحَ  
فِي مَزَارِعَ لِلطَّوَائِفِ.

شَعْبٌ تُمَحِّيهِ

وَتَكْتُبُهُ الطَّرَائِفُ.

شَعْبٌ يُهَنْدِسُهُ الخَرَابُ.

شَعْبٌ تُرَابُ.

\*\*\*

لا توقظوا الأجدادَ من أجدائِهِم.

لا توقظوهُم،

علَّ بَعْضَ الموتِ يَنْفَع.

لا توقظوا بيروتَ من غيبوبةِ

فَالوَعِي أَفْجَع! -

بلْ أَيْقِظوها،

علَّكُمْ مِنْ نَبْضِهَا

تَعْدُونَ أَقْرَبَ لِلْبَشْرِ

وَتُفَجِّرَ الأحلامَ فيكم،

توقظَ النَّبْضاتِ في قلبِ

تَحَجَّرَ وَأَنْتَحَرَ.  
وَأَلَعَلَّهَا بِدِمَائِهَا تُحْيِي مَوَاتِكُمْ  
فَيَنْبَعِثَ الْحَجَرَ.  
فَلْتَوْظُوهَا.  
رُبَّمَا تُنْسِيكُمْ طَبَعِ الْعَبِيدِ،  
فَتَنْهَضُونَ مِنَ الْقُبُورِ  
وَتُبْعَثُونَ مِنَ الرَّمَادِ  
وَتَصْفَعُونَ بِكَفِّكُمْ وَجْهَ الْقَدَرِ.



- ٥ -

وَقَضِيَّتِي صَارَتْ قَضِيَّتِكُمْ -  
قَضِيَّةَ هَذِهِ الْأَرْضِ  
الَّتِي نَهَشَتْ جَوَانِبَهَا الضَّبَّاعُ.  
آتِي مِنَ الْمَوْتِ الطَّوِيلِ  
لِتُمْسَحَ الظُّلُمَاتُ عَنَّا  
وَالضَّبَّاعُ.  
سَرَقُوا مَلَامِحَنَا.

مَسَحُوا مَعَالِمَنَا.  
وَمَضَوْا يَرُشُونَ الشِّتَاقَ  
لِيَحْفَظُوا الْعَرْشَ الْمُرَقَّعَ  
بِالدِّمَاءِ وَبِالْعِظَامِ.  
تَوَشَّحُوا بِاللَّيْلِ فَانْتَحَرَ النَّهَارُ،  
وَأَعْتَمَتِ شَمْسُ السَّمَاءِ،  
وَضَنَّتِ الْأَقْدَامُ  
أَنَّ الْأَرْضَ غَابَتْ...  
وَاسْتَفَقْنَا فِي ظَلَامٍ دَامِسٍ.  
مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ

هَدَّنَا هَذَا الظَّلَامُ... .

وَبَكَتْ مَرَارَتُنَا عَلَيْنَا.

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مَحْوًا:

لَا خَيَالَ،

وَلَا مَنَامًا.

أَنْعُودُ مِنْ مَوْتٍ طَوِيلٍ

نَمْسَحُ الظُّلُمَاتِ عَنَّا وَالْغِيَابِ؟

أَنْصِيرُ شَعْبًا، ذَاتَ يَوْمٍ،

يَبْعَثُ الْأَرْضَ الْحَرَابِ؟

مَاذَا جَرَى لِلْمَوْتِ؟

ما عُدْنَا نَمُوتُ إِذَا نَمُوتُ -  
وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ الْمَوْتُ  
إِنْ كُنَّا هُنَا مَوْتِي؟  
وَمَا نَفْعُ الْعَبِيدِ  
إِذَا تَحَسَّسَتِ الْمَهَانَةُ  
وَاسْتَسَاغَتْهَا،  
وَمَا عَادَتْ تُبَاعُ؟  
وَاللَّيْلُ يَضْحَكُ مِنْ مَرَارَتِهِمْ،  
فَلَا تُجْدِي الصَّلَاةُ  
وَلَا الصِّرَاعُ!

وَأَنَا الْمَسَافِرُ فِي غِيَابِ الصَّوْتِ  
حِينَ يَكُفُّهُ عَارٌ.  
أَنَا الْوَجْهُ الْمُرَائِي فِي الْمِدَادِ.  
أَنَا الْقِنَاعُ.  
لَا شَعْبَ فِي أَبَدِيَّةِ الرَّفَى  
وَلَا عَصَبٌ يَضِجُ،  
وَلَا لَهَبٌ.  
شَعْبٌ قَتِيلٌ، لَا يَمُوتُ،  
وَلَيْسَ تَنْفَعُهُ الصَّلَاةُ،  
وَلَا يُحَرِّكُهُ غَضَبٌ.

شَعْبٌ تُخَنِّطُهُ الطَّوَائِفُ،  
كَسَّرَتْهُ الكِذْبَةُ الكُبْرَى،  
وَعَرَّتْهُ التِّمَاعَاتُ الذَّهَبُ.  
شَعْبٌ قَتِيلٌ...  
مِنْ حَطَبٍ!

\*\*\*

أَمْشِي...

وَلَا طُرُقٌ تَقُودُ إِلَى الطُّرُقِ.

أَمْشِي...

وَلَا شَفَقٌ أَمَامِي

أَوْ أُفُقٌ.

أَمْشِي...

وَلَكِنَّ الْمَسَافَةَ غَائِبَةٌ

وَالْحِسَّ تَمْسَحُهُ الثَّوَانِي الْخَائِبَةٌ.

هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الْأَخِيرُ،

فَلا حَيَاةَ تُحْرِكُ الْعَصَبَ الْقَنِيْلَ،  
وَلَا صَهِيْلٌ طَافِرٌ  
مِنْ لَانْهَآيَاتِ السُّبَاتِ.  
أَمْشِي عَلَى أَرْضِ مَوَاتِ.  
أَمْشِي عَلَى صَبْرٍ  
تَحَنَّنَ فِي الثَّوَانِي  
فَارْتَمَتْ عَصْرًا مِنَ الزُّلْفَى  
يُمَدُّ جَلِيْدَهُ فِي لَانْهَآيَاتِ الرَّدَى.  
سَقَطَ الْمَدَى.  
أَمْشِي...



فَلَا حَطُّوْ عَلَى دَرْبِ،  
وَلَا دَرْبٌ تَقُوْدُ إِلَى الطَّرِيْقِ  
وَلَا حَيَاةٌ فِي حَيَاتِي.  
شَعْبٌ تَحَطَّمُ فِي طَرَائِفِهِ،  
فَلَا وَجْهٌ  
وَلَا صَوْتٌ  
يُحْرِكُ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ.  
وَجَعٌ عَلَى وَجَعٍ،  
وَلَيْلٌ مِنْ حَدِيدٍ -  
كُلُّ دَمْعٍ سَالَ فِي بَيْرُوتَ دَمْعِي.

كُلُّ جُرْحٍ سَأَلَ فِي بَيْرُوتَ جُرْحِي .  
كُلُّ حُلْمٍ ضَاعَ فِي نَتْنِ الطَّوَائِفِ  
كَانَ حُلْمِي .

لَيْسَ يَبْقَى  
غَيْرَ أَطْيَافِ الضَّبَاعِ  
عَلَى الطَّرِيقِ .

بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ مِيثَاقٌ -  
سَأُعْلِنُ يَا رَفِيقِي :  
أَنَّ الْفِدَاءَ يُحَرِّرُ الدُّنْيَا  
فَيُخْرِجُ فَارِسُ

مِنْ ظُلْمَةِ الْمَوْتِ السَّحِيقِ  
وَبِكْفِهِ بَرْقُ السَّمَاءِ  
بِهِ يَحِزُّ رُؤُوسَ أبنَاءِ الأَفَاعِي  
رَافِلاً عَبْرَ البَرِيقِ.

هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الأَخِيرُ -  
سُنْشَعِلُ الشَّمْسِ الَّتِي انْطَفَأَتْ  
لِيَرْجِعَ دِفْؤُهَا خِصْبًا،  
وَيَنْبُتَ قَمَحُهَا حُبْرًا،  
وَيَحْتَرِقَ الظَّلَامُ.  
هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الأَخِيرُ -

زَمَانُ مَا بَعْدَ الطَّوَائِفِ  
أَوْ غِيَابِ الْوَقْتِ.  
لَا أَمْدَاءَ تَفْصِلُنَا:  
مَكَانٌ وَاحِدٌ  
بَيْنِي وَبَيْنَ الْآخَرِينَ،  
فَلَا وِرَاءَ  
وَلَا أَمَامَ.  
بَيْرُوتُ، قُومِي!  
هَا هُوَ الْآتِي،

وها هي ذي الأنام  
لُمتْ لِتَمْسَحَ ما تَرَسَّبَ  
في عُرُوشِ العارِ مِنْ عارٍ.  
سَتَنْبَعُ الْجُنُثُ  
كَي تَسْتَسِيغَ حَيَاتُهَا بَعْدَ المَماتِ،  
وَتَسْحَبَ التاريخَ  
مِنْ هَوْلِ العَبَثِ.  
بَيْرُوتُ، قومي!  
يَنْقُضِي زَمَنُ الطَّوائِفِ  
في التِمَامِ الشَّعْبِ حَوْلَ هُويَّةِ الآتي،

فَلَا لَيْلٌ يُنَاوِرُ،

لَا عُرُوشٌ

أَوْ سَرَابٌ.

تَأْتِي مِنَ الْمَوْتِ الطَّوِيلِ

لِنَمْسَحِ الظُّلُمَاتِ عَنَّا وَالْغِيَابَ -

سَنَصِيرُ شَعْبًا

يَبْعَثُ الْأَرْضَ الْحَرَابَ.

سَنَصِيرُ شَعْبًا

يُوقِظُ التَّارِيخَ مِنْ غَيْبِيَّةٍ.

هَذَا قَضِيَّتُنَا.

وَنَحْنُ النَّوْرَةُ الْكُبْرَى؛  
هَدِيرُ الرَّعْدِ أَيْقَظُنَا،  
وَطَهَّرَنَا اللَّهَبُ.  
لَا وَحْشَ يُرْهِبُنَا،  
وَلَا ضَبْعٌ وَحُكَّامٌ حَشَبُ.  
لَا شَيْءٌ غَيْرَ نَقَاوَةِ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ  
تَخَطُّ تَارِيحًا،  
وَتَخْفُرُ مَا انْكَتَبَ  
فِي قَلْبِ عَصْرِ نَابِضٍ كَالشِّعْرِ -  
هَذَا عَصْرُنَا.

ميثاقُنا، بِيروثُ،  
أَنَا نَبَعْتُ الْأَرْضَ الْمَوَاتِ  
وَنَصِيرُ شَعْبًا  
يَمْسَحُ الْعَارَ الطَوِيلَ  
عَنِ الْعُرُوشِ  
فَتَسْتَقِيمُ بِهِ الْحَيَاةُ.  
ميثاقُنا، بِيروثُ،  
أَنَا لَنْ نَعُودَ إِلَى الْمَمَاتِ.  
سَنَنْظَلُّ فِي هَذَا الزَّمَانِ  
تَقُودُنَا نِيرَانُنَا،



وَيَتَوَرُّ فِي وَجْدَانِنَا  
صَوْتُ الْكِرَامَةِ وَالْغَضَبِ.  
سَتَصِيرُ ثَوْرَتُنَا  
وَقَوْدَ الْمُسْتَحِيلِ  
يُفِيقُ مِنْ نَوْمِ عَجَبٍ.  
سَنَقُولُ فِي مِيثَاقِنَا:  
إِنَّا هَجَرْنَا الْمَوْتَ  
فِي دَمِنَا،  
وَإِنَّا نَصْنَعُ التَّارِيخَ  
مِنْ دَمِنَا،

وَنُحْيِي النَّبْضَ فِي بَيْرُوتَ  
مِنْ دَمِنَا؛  
وَنَحْنُ الْعَائِدُونَ إِلَيْكَ،  
يَا بَيْرُوتُ،  
مِنْ وَهْمِ الخُطْبِ.  
سَنَقُولُ كَلِمَتَنَا،  
وَنَخْرُجُ مِنْ ثَنَائِ النَّوْمِ،  
فِي بُرْكَانِ يَفْظَتِنَا،  
وَفِي عُرْسِ الصَّحْبِ.  
سَنَصِيرُ تَغْيِيرَ الحَقِيقَةِ

في عَبيِرِ النارِ،  
نَرَحَلُ في اللَهَبِ.  
سَيَقودُنَا نَبْضُ العَضَبِ،  
وَتَعودُ للَدُّنيا مَدِينَتُنَا غَضَبِ،  
وَنَصيرُ شَعْبًا... مِنْ غَضَبِ -  
سَنَصيرُ شَعْبًا... مِنْ غَضَبِ.

١٨ - ٢٣ / آب / ٢٠٢٠

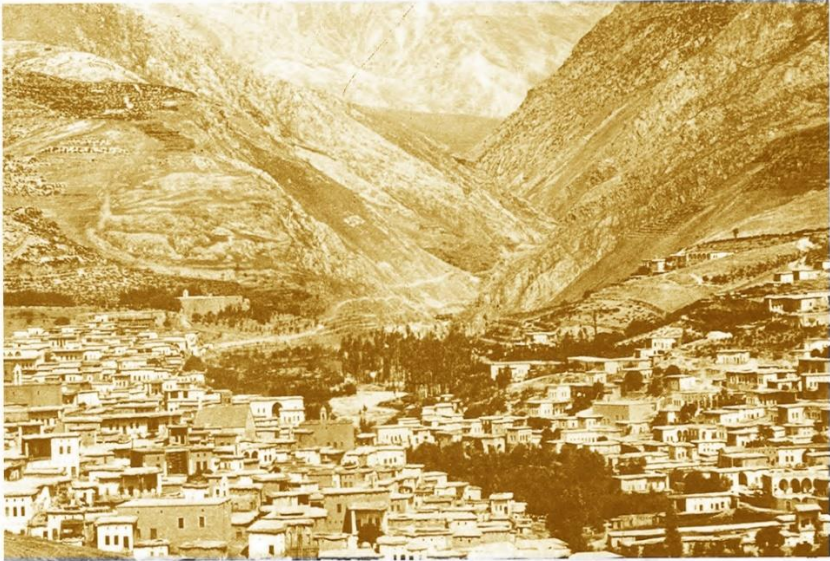






ديزيره سقال

# زَخْلِيَّان



٢٠١٢





قصيدة زحلة



تَدْفَعُ النُّورَ إِثْرَ النُّورِ مُنْسَكِبًا،  
وَلَوْنُ العِزِّ فِي جَبْهَاتِكَ السُّحْبًا،

وإنداحَ لَحْنٍ مِنْ الأَجْيَالِ تَحْمِلُهُ  
خَمْرُ القَصَائِدِ سُكْرًا فِيكَ أَوْ طَرْبًا...

وتستفيقُ مجالي المجدِ في نَعْسٍ  
وقدَّ تَحَدَّرَ فِي الآفَاقِ وانسحبًا

وفاحٍ منه أَرِيحُ، فالدُّنَى شَمَمٌ،  
وقامةٌ تتحدَّى الليلَ والحُطْبَا.

نَمُوتُ فِي حِضْنِ فِرْسَانٍ يَشِيلُ بِهِمْ  
ضَرْبُ السِّيفِ، وَحُبُّ الْمَوْتِ مَا رَهْبًا...

عَلَّتْ زُنُودُهُمْ رَايَاتٍ عَزَّتْهُمْ،  
وَقَطَعَ السِّيفُ مَا رَأَى وَمَا كَذَبًا!

فَمَا ارْتَضُوا غَيْرَ نَوْرِ الْحَقِّ، أَوْ قَبِلُوا  
بَيْعَ حَقِّهِمْ مَالًا وَلَا ذَهَبًا.

يَا زَحْلُ، مَا لِلرِّجَالِ الشُّمِّ قَدْ دَثَرُوا،  
وَلِلْإِبَاءِ الَّذِي رَبَّوهُ مُتَّجِبًا؟

أَيْنَ الصَّنَادِيدُ تَهْوَى السَيْفَ مُنْصَلِتًا،  
وَتَرْكَبُ الهَوَّلَ، عِنْدَ الخُطْبِ، وَالكَرْبَا؟

أَيْنَ البَوَاسِلُ يَأْتُمُّ الرِّجَالَ بِهِمْ  
تُقَطِّعُ الوَحْشَ فِي عَضْبَاتِهَا إِرْبَا؟

أَيْنَ الرِّجَالَاتُ فِي لَبْنَانَ نَحْمِلُهُمْ،  
نَظْرَاهُمْ، وَحَدَهَا، شَقَّوْا بِهَا الشُّهْبَا؟

يَا زَحْلُ دَمْعٌ عَلَى عَيْنَيْكَ يَفْضَحُهُمْ  
وَحُزْنٌ صَوْتِكَ مَكْسُورًا وَمُتَّحِبَا:

"أَكَلَّمَا عَضَّ كَلْبُ رَجَلٍ سَيِّدِهِ،  
أَوْ خَانَ مَعَشَرُهُ، رَاخُوا لَهُ حَبِيبًا؟

وَبَاعَهُ الْحَاكِمُ الْمَخْصِيَّ جَبْهَتَهُ  
لِيَسْتَسِيغَ الضَّمِيرُ الْعَارَ وَالنَّشْبَاءَ،

وَكُلَّمَا أَنْجَبَتْ آفَافُنَا بَطْلًا  
هَاجَتْ قُرُودٌ، وَصَاحَ الْبَوْمُ أَوْ نَعْبَاءَ،

وَسَادَ صَمْتُ عَلَى الْأَمْدَاءِ، وَانْدَفَعَتْ  
لُجُجُ الْوَحُوشِ إِلَى أَقْدَامِنَا رُكْبًا؟

إِنْ كَانَ مَنْ مَسَّحُوا الْأَبْطَالَ هُمْ نَسَبِي،  
دُونَ الْخَوَالِي، فَإِنِّي أَرْفُضُ النَّسَبَا!"

\*\*\*

يَا زَحْلُ، مَعْدِرَةً، آتِيكِ بَعْدَ ضَنْبِي:  
مَا زَالَ طَعْمُ الْعُلَى فِي الْقَلْبِ مُضْطَرِبَا.

آتِيكِ يَا قُبْلَةَ السَّهْلِ الَّتِي سَجَدَتْ  
لَهَا الشَّمُوسُ، وَحَلَّى لَوْهَا الْهُدُبَا،

وَبَانَ حُسْنُ سَمَا بِالسَّهْلِ فِي وَكَلِهِ،  
فَعَانَقَ السَّهْلُ أَرْضَ اللَّهِ وَاعْتَشَبَا؛

فَعَنْ شَمَالِكِ "جَوْبَيْتِيرُ" تَرْفَعُهُ  
بِبَعْلَبَكِّ عَوَامِيدُ الضُّحَى رُتَبَا،

وَفِي جَنُوبِكِ حَمْرُ الْأَرْضِ عَصَّرَهَا  
أَبْنَاءُ "بَاخُسَ"، حِينَ اسْتَسَلِمَتْ، عِنْبَا...

يَاقُوتَةُ السَّهْلِ نَامَتْ مِنْ تَدَلُّلِهَا،  
وَصَانَ مَدَحَلُّهَا "الْعَدْرَاءُ" وَالصُّلْبَا،



وَكَانَ أَنَّ ذِرَاعَ الرَّبِّ قَدْ جَمَعَتْ  
فِي بُقْعَةٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ مَا حَلَبَا...

\*\*\*

يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ، كَمْ أَطَلَقْتِ مِنْ نُجُبٍ  
فِي الْخَافِقِينَ، فَصَانُوا الشِّعَرَ وَالْأَدْبَا،

وَكَمْ تَبَاهَوْا بِكُلِّ الْأَرْضِ أَيْتَهُمْ  
بَاتُوا بِشِعْرِهِمْ أَبْنَاءَكَ النُّجْبَا:

فها "مَعَالِفَةٌ" شادوا صُرُوحَهُمْ  
في كلِّ فَجٍّ، فزانوا الفِكرَ والكُتُبَا،

خالوكِ "عَبَقْرَ" إذ طَارَ الأديمُ بهم  
"بساطَ رِيحٍ"، وصارَ السَّهْلُ مُغْتَرِبَا،

وجذَّروا في ضميرِ الوحي "زَحَلْتَهُمْ"،  
وأعلنوا الوحيَ في الدُّنيا هُمَ طَلَبَا...

وها كَبِيرُ كِبَارِ الشِّعْرِ كُلهِمُ  
"سَعِيدُ عَقْلٍ"، سليلُ المجدِ مُتَسِّبَا،

راضَ القوافي فأحنتَ رأسها صغراً،  
وذوّبَ العقلَ شعراً حينما كتبنا،

إزميلهُ ناحِثٌ فوقَ المدادِ له  
وهجَ الخلودِ على الأرضينَ مُنتصباً؛

بحرفه أنزلَ الأشعارَ هادراً،  
وصوتهُ شقَّ عمقَ الكونِ والحُجبا،

فكانَ أشعرَ مَنْ تاهوا بشعرهم،  
وكانَ أفصحَ منْ فُصّاحنا حُطبا.

يُمَدُّ كَفًّا إِلَى النَجْمَاتِ يَقْطِفُهَا،  
وَيَرْكَبُ الْكَبِيرَ وَثَابًا إِذَا رَكِبًا.

وَشَاءَ يَرْفَعُ فَوْقَ الْعِزِّ مَسْرَحُهُ  
وَيَرْكَبُ الْكَبِيرَ وَثَابًا إِذَا رَكِبًا.

فَلَيْسَ يَرْضَى بَعِيرِ النَجْمِ يَقْطِفُهُ،  
وَلَيْسَ يَرْضَى بَعِيرِ الْكَبِيرِ مُصْطَحِبًا،

وَلَيْسَ يَقْبَلُ إِلَّا الصَّعْبَ مَطْلَبَةً -  
مَنْ يَطْلُبُ الْعِزَّ لَا يَسْتَكْثِرُ التَّعْبَا!

هَذَاكَ، يَا زَحْلُ، شُمَّ تَفَحَّرِينَ بِهِمْ -  
لَيْسَ الرِّجَالُ مَنِ اقْتَادُوا الْوَرَى كَذِبًا!

وَلَا الَّذِينَ تَوَلَّوْا الْعَرْشَ فِي تَيْهٍ،  
وَرَقَّعُوا عَرْشَهُمْ بِالْمَوْتِ فَانْتَحَبَا...

نَسَبْتُ نَفْسِي لِمَجْدِ الشِّعْرِ دَوَّهْمُ،  
وَيَكْبُرُ الْمَرْءُ حَقًّا إِنْ لَهُ انْتَسَبَا...

\*\*\*

يا زَحْلُ، عَفْوِكَ، إِنَّ الْقَوْلَ مُلْتَهَبٌ،  
والنفسَ تَجْرَعُ مُرَّ السِّمِّ والعَطْبَا،

وللكلامِ سِيَّاطُ عَزَّ مَضْرُبُهَا -  
ما أضعفَ الشِّعْرَ إِنَّ لَمْ يُضْرَمِ الغَضْبَا!

قصيدة سعيد عقل





عَمَرَتْ بِالشِّعْرِ بُرْجَ المَجْدِ فانتصبا،  
والحَرْفُ عَنِّي بِأَجْرَسٍ بِهَا خَلَبًا،

والشمسُ تَنَحَّتْ مِنْ أنوارِها هَبًّا  
صارتْ مَعَ الوَحْيِ، في نيرانِهِ، ذَهَبًا...

والأرزُ يَنْظُرُ مِنْ عَلِيائِهِ صُعْدًا:  
مَنْذا يُزاملُ في عَلِيائِهِ السُّحُبا؟

والأرزُ يَنْظُرُ مِنْ عَلِيائِهِ صُعْدًا:  
مَنْذا يُزاملُ في عَلِيائِهِ السُّحُبا؟

إِلَّا الَّذِي خَطَّ مِنْ أَرْزَامِهِ مِئَةً،  
مِنْ صَفْحَةِ الْخُلْدِ، زَانَ الْخُلْدُ مَا كَتَبَا

لِيَنْحَتَ الْحَرْفَ نَارًا جَلَّ قَائِلُهَا  
فَسَطَّرَتْ مِنْ لَهَيْبٍ مُشْرِقٍ عَجَبًا؟

مَنْذَا تَشَامَخَ فِي لَبْنَانَ، وَانْحَدَرَتْ  
لَهُ رُؤُوسُ الْجِبَالِ الْبَيْضِ فَاعْتَصَبَا؟

يَا مَنْ قَطَفْتَ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فِي شَمِّمٍ  
لِيَحْفَرَ الْمَجْدُ وَهَجَّ الْحَرْفِ، وَالْكَتُبَا؟

يا مَنْ هَصَّرَتْ غِصُونَ الْعِزِّ فِي مِئَةٍ  
لِيَطْعَمَ الشَّعْرُ مِنْهَا طِيبَ مَا طَلَبَا.

النَّجْمُ؟ مَا النَّجْمُ فِي عَلِيَاءِ طَلَّتِهِ؟  
لَشِعْرُكَ النَّجْمُ عَلَيَّ ضَوْءُهُ وَرَبَا...

سَامٍ كَمَا الْوَحْيِ يَعْلوِي بِهِ نَسَبٌ  
وَقَلْبُ لُبْنَانَ مِنْهُ سَالَ وَأَنْسَكَبَا.

كَتَبْتَ لِلْمَجْدِ حَتَّى صِرْتَ عُزَّةً،  
وَصَارَ مَجْدُكَ مِنْ عَلِيَاءِهِ اللَّقْبَا؛

كَتَبَتْ لِلْمَجْدِ فِي أَرْضِ تَحُومٍ بِهَا  
غَرَبَاتُهَا فِي شَمَارِيخٍ عَدَّتْ خَرَبَا،

تَقَاسَمُوا الْوَطْنَ الْمَجْرُوحَ، وَاخْتَلَفُوا  
عَلَى الْعَنَائِمِ حِينَ اسْتَعْظَمُوا السَّلْبَا.

بَاعُوا جَبِينَهُمْ لِلْخِزْيِ يَخْفُرُهُمْ  
حَتَّى اسْتَسَاعَ الضَّمِيرُ الْخِزْيَ وَالنَّشْبَا،

وَطَاطَأُوا رَأْسَهُمْ، فَالذُّلُّ يَجْمَعُهُمْ  
رَكْبًا مِنْ الذِّلِّ فِي خِدْلَانِهِ طَرَبَا،

وقسّموا الله أقسامًا ملوّنةً  
فارتجّ عمقُ السّما من تيههم غضبا...!

يا عقلُ، إن كانَ جمعُ العارِ من نسبي  
وحفنةُ الذلِّ، لا كانوا لنا نسبا!

\*\*\*

وأنتَ كُنتَ طلبتَ النورَ حينَ سعتُ  
كفّاكَ تبني قُصُورَ العزِّ والقببا،

رَفَعَتْ سَيْفَ اللُّقَى فِوَلَاذَ مَقْدِرَةٍ،  
وَكَانَ غَيْرُكَ يَجْلُو سَيْفَهُ حَشْبًا!

حَتَّى اسْتَكَانَتْ قَوَائِي الشَّعْرِ صَاغِرَةً  
فَرَضْتَهَا، وَعَصَتْ فِي غَيْرِكَ الْقُضْبَا.

وَضَمَّ حَرْفُكَ - حَرْفًا فِي تَعْدُدِهِ -  
مَا ضَمَّ أَلْفٌ سِوَاهُ مُطْلَعًا كَتَبَا...

فَالْكُونُ يَخْشَعُ، وَالْآفَاقُ مِصْغِيَةٌ،  
وَالْعَرَبُ تَقْطُفُ مِنْ آيَاتِكُمْ نُحْبًا،

والشمسُ تُشرقُ من بينِ الحروفِ، وقد  
تألَّقتُ بمدادِ الوحيِّ مُنسكبا،

والشمسُ وجهكُ في أعلى تألَّقهِ،  
إن طأطأ الرأسَ، أحنى الرأسَ منتصبًا.

يا أرزة العُربِ شاءَ الربُّ يغرِسُها  
في منبتِ النورِ أمَّا نورُها وأبا،

يا وقفَةَ العِزِّ في لبنانَ منبتُها  
"قدموسُها" وهبَ التاريخَ ما وهبًا،

و"بنت يفتاح" من أغراسنا ثم  
أطعمت منه تراث الغرب والعربا،

و"رندلي" ماسة شعت نزارها  
ليعلن الشعر، مما صغته، حسبا...

قد صار حرفك حرف الصدق مؤتلقا،  
وأجمل الشعر صدقا كان، لا كذبا!

قصيدة أنت، صار السحر أحرفها،  
والحسن قافية، والنبع ما نضبا...



لبنانُ وحيكُ مُدُّ عَليَّتِ رايتهُ،  
وبتَّ فيه رديفَ الأرزِ، والعَصَبَا.

لبنانُ وحيكُ: نَسْرُ طارٍ في كُتُبِ  
نحوِ النجومِ، وأسنَى أينما دَهَبَا،

قَطَفْتُهُ لمعةً في الشعرِ بارقةً،  
وطرَّتْ بالنورِ حتَّى جُرَّتْهَا الرُّتْبَا...

يا شاعرَ المجدِ، صارَ المجدُ أغنيةً  
أيامَ عافِ الرقابِ المجدُ وانسَحَبَا،

وَأَسْكَرَ الْعَارُ مَنْ بَاعُوا ضَمَائِرَهُمْ  
لِكُلِّ عَبْدٍ عَبْدٍ خَصِيٍّ نَالَ مَا رَغِبَا،

وَاسْتَعَذَبُوا الذُّلَّ: إِنَّ الذَّلَّ شِيْمَتُهُمْ،  
وَأَبْعَدُوا الْعِزَّ عَنْهُمْ حَيْثَمَا اقْتَرَبَا...

إِنَّ الشَّوَامِخَ تَهْوَى النُّورَ قِمَّتُهَا،  
وَعَائِرَ الْأَرْضِ يَبْقَى، الدَّهْرَ، مُحْتَجِبَا -

يَا شَاعِرَ الْمَجْدِ، صَارَ الْمَجْدُ أَغْنِيَةً  
فِي فَيْكٍ مِنْ مِئَةِ، تُغْوِي بِهَا الْحُقُبَا...

## الفهرس

### كتاب الأشياء الميتة والضدّ

#### الأشياء الميتة

ص ٥	الأحجار
ص ٢١	الرماد
ص ٣٥	الصحراء

#### الضدّ

ص ٥١	السديم
------	--------

### أناشيد الأرض والدم

ص ٦٥	أناشيد الأرض
------	--------------

#### ملحق أول: مشاهد الغابة

ص ١٠٣	شجرة
ص ١٠٤	شجرة
ص ١٠٥	شجرة
ص ١٠٦	شجرة

ص ١٠٨	شجرة
ص ١٠٩	شجرة
ص ١١١	شجرة
ص ١١٢	شجرة
ص ١١٣	شجرة

## ملحق ثانٍ: مشاهد المقبرة

ص ١١٧	شاهدة
ص ١١٨	شاهدة
ص ١١٩	شاهدة
ص ١٢٠	شاهدة
ص ١٢٢	شاهدة
ص ١٢٤	شاهدة
ص ١٢٥	شاهدة
ص ١٢٧	شاهدة
ص ١٢٩	شاهدة
ص ١٣١	شاهدة

## ملحق ثالث: مزمور الذي

ص ١٣٥

لا اسم له

نرسييس

ص ١٤٥

أطياف نرسييس

ص ١٥٣

قصيدة نرسييس

أصوات

ص ١٦١

البحر

ص ١٦٣

الصدى

ص ١٦٥

الأرض

ص ١٦٧

الحلم

ص ١٦٩

الكابوس الأخير

ص ١٧١

القريب

ص ١٧٣

الأرج

ص ١٧٥

الدخان

ص ١٧٧

الحجر

ص ١٧٩

الوردة

ص ١٨١	السماء
ص ١٨٣	الظل
ص ١٩٣	مدينة الغضب
	زَحْلِيَّتَانِ
ص ٢٤٩	قصيدة زحلة
ص ٢٦٣	قصيدة سعيد عقل







**يُطلب الكتاب من المؤلف:**

**961 3 338353**